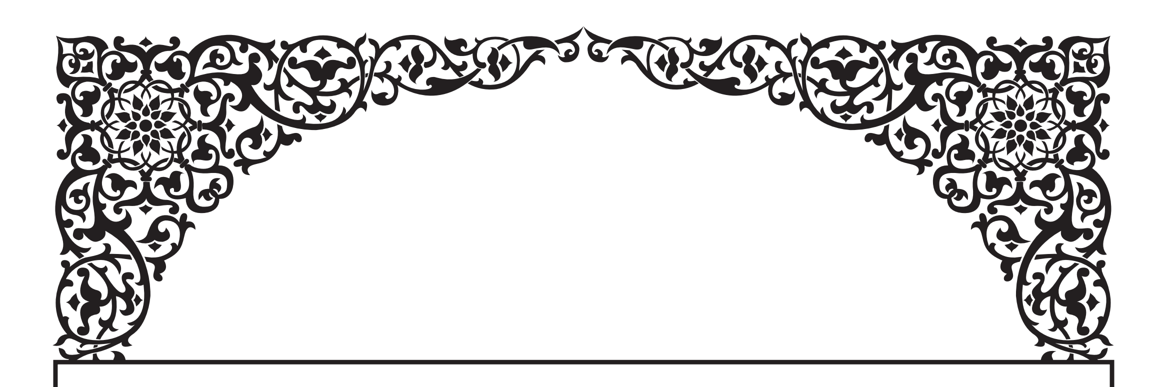


إحسان الظن بالله تعالى

والتحذير من اليأس والقنوط من رحمة الله

إعـداد

د. فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد

كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ

أيها الإخوة المسلمون والأخوات المسلمات :

إلى كل مهموم ومغموم ومبتلى

إلى كل من ابتلي بمرض أو بلوى أو غربة أو فقد عزيز

إلى كل مذنب تاب وأناب وأقبل على الله

إلى كل من عمل عملاً صالحاً يرجو من الله قبوله

إلى كل داعٍ إلى الله تعالى - على منهاج النبوة - لاقى عَنَتاً وعناداً

إلى كل مسلم يرجو ما عند الله تعالى ...

أحسن الظن بالله تعالى واجتهد في إصلاح عملك واحذر من اليأس والقنوط ...

وأبشر بالخير من الله تعالى فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ؛ أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى بعث نبيه محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهدى ودين الحق، وأكمل له الدين وأتم عليه النعمة ، وجعل دينه دين الإسلام دينا قيما كاملا شاملا تاما، وجعله ناسخا لجميع الأديان السابقة ، وجعل دينه مشتملا على جميع الكمالات الحسية والمعنوية، وارتقى بأتباعه إلى أعظم الأخلاق الجميلة المحمودة، وأشرف الصفات الظاهرة والباطنة،وعلمهم أحسن الأحكام والشرائع والفضائل العلمية والعملية ؛ فلا يوجد ـ بعد بعثة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ دينٌ في الأرض يُدان لله عز وجل به ، ويحبه الله ويرضى عن أهله إلا دين الإسلام ؛ كما قال تعالى :﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣].

وكان من رحمة الله للعباد بهذا الدين ما يحمله من رسالة تصفية أعمال القلوب والجوارح ، التي تطهر بها النفوس ، وتطمئن بها القلوب ، وتزكو بها الأعمال ، وتصلح بها الأحوال ، ومن هذه الأعمال إحسان الظن بالله تعالى والتحذير من اليأس والقنوط ، وهذا الموضوع هو محل الدراسة في هذا البحث.



إن إحسان الظن بالله تعالى من الأعمال القلبية الجليلة ، التي لا يستغني عنها المسلم طرفة عين ، ولا يخفى ما لهذا الموضوع من أهمية في عقيدة المسلم لما تعكسه نقاوة باطنه على ظاهره ، والأمة الإسلامية اليوم ـ وفي ظل هذه المتغيرات والفتن والمدلهمات التي تحيط بها ـ في أمسّ الحاجة إلى تجلية هذه المعاني الإيمانية، وتجديدها في النفوس ، وبعث الهمم ، وشحذ العزائم ، والجد والاجتهاد في كل عمل مخلص موافق للحق كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح ؛ لتعود لأمة الإسلام كرامتها وعزها ومجدها بتوفيق من الله تعالى ، مع استصحاب الأصلين العظيمين وهما إخلاص العمل لوجهه الكريم ، وموافقة ومتابعة سنة الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل الأقوال والأعمال.

○● أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١-من أصول أهل السنة والجماعة إحسان الظن بالله تعالى في كل الأوقات والأحوال، والحاجة الملحة بل الضرورة إلى تعلم المسلمين إحسان الظن بالله تعالى لمواجهة البلايا والمصائب التي تحيط بهم ، والشدائد والكربات التي تقع لهم ، وسائر المشاق في الحياة وعند الممات.

٢-أن إحسان الظن بالله تعالى لا يحصل إلا بالإيمان الصحيح بأسماء الله تعالى وصفاته العلى من غير تمثيل ولا تعطيل ، فهو من آثار اتباع منهج السلف الصالح ولزوم طريقتهم ، والعكس كذلك فسوء الظن بالله تعالى سببه ضعف الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته وكماله أو عدم الإيمان بها بالكلية .

٣-الأثر الإيجابي لإحسان الظن بالله تعالى على نفسية المسلم ورفع معنوياته ، ورباطة جأشه ، وقوة إيمانه وبالتالي كثرة عطائه وتزايد نشاطه وقوة صبره ويقينه.

٤-خفاء بعض مسائل إحسان الظن بالله على بعض المسلمين ، ووقوعهم في المخالفات الخطيرة في هذا الباب .

٥-خطر اليأس والقنوط على العبد في دينه ودنياه ؛ فإذا سيطرا على قلبه وجوارحه أشرف على الهلاك والخسارة الدينية والدنيوية ، وإذا أحاطا به تسلطت عليه الأعداء من شياطين الإنس والجن .

٦-ضعف الوازع الديني لدى بعض المسلمين مما جعل اليأس يسيطر عليهم من حيث لا يشعرون ، ويدخل عليهم من المداخل الخفية .



٧-أن اليأس والقنوط يؤديان بالعبد إلى ترك الأعمال النافعة المفيدة ، ويجعله منطويا على نفسه مهملا وتاركا لما فيه سعادته وفلاحه .

٨-أن اليأس والقنوط قد يؤديان بالعبد إلى الوقوع في الكفر والشرك المخرج من الملة ، لما فيهما من ترك الدين والإعراض عنه ، والوقوع في سوء الظن بالله .

٩-أن اليأس والقنوط دليل على خروج العبد عن منهج أهل السنة والجماعة وشذوذه عنهم ، واتباعه للهوى والشيطان والنفس الأمارة بالسوء .

ولأهمية هذا الموضوع وما لدراسته من آثار إيجابية على سلوك المسلم في عقيدته وسائر أعماله ، اخترت دراسته في هذا البحث ، سائلا الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، عائدا نفعه على عباده .

كما أسأله - تعالى- أن يعيننا ويسددنا ويوفقنا وجميع إخواننا المسلمين ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

○● خطة البحث :

العنـوان : إحسـان الظـن باللـه والتحذيـر مـن اليـأس والقنـوط مـن رحمـة اللـه يتكـون البحـث مـن مقدمـة وتمهيـد وثلاثـة مباحـث وخاتمـة على النحو الآتي :

المقدمة : وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث ومنهجه

التمهيد ، وفيه :

-التعريف بمفردات البحث ومرادفاتها .

-حقيقة إحسان الظن بالله تعالى عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الأول : حكم إحسان الظن بالله تعالى وأحواله ووسائله وآثاره، وفيه :

المطلب الأول : حكم إحسان الظن بالله تعالى والأدلة عليه .

المطلب الثاني : أحوال إحسان الظن بالله تعالى عند الصحة والمرض والطاعة والمعصية والفتور والنشاط .

المطلب الثالث : الوسائل المعينة على إحسان الظن بالله تعالى .

المطلب الرابع : آثار إحسان الظن بالله على حياة المسلم .

المبحث الثاني : حكم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى وأسبابه وآثاره،وفيه:

المطلب الأول : حكم اليأس والقنوط .

المطلب الثاني : الأدلة على التحذير من اليأس والقنوط .

المطلب الثالث : الأسباب المؤدية لليأس والقنوط وسبل علاجها .

المطلب الرابع : الآثار المترتبة على اليأس والقنوط.

المبحث الثالث : قصص في إحسان الظن بالله واليأس والقنوط ، وفيه :

المطلب الأول : نماذج من قصص من أحسنوا الظن بالله تعالى وأثر ذلك عليهم.

المطلب الثاني : نماذج من قصص اليائسين والقانطين وأثر ذلك عليهم .

الخاتمة وفيها : أهم النتائج وتوصيات البحث .

الفهـــــارس

○● منهج البحث:

١. جمع النصوص الواردة من الكتاب والسنة في إحسان الظن بالله تعالى والتحذير من اليأس والقنوط ، ودراسة مسائله دراسة عقدية.

٢. جمع ما تيسر من كلام العلماء من الصحابة ومن جاء بعدهم في إحسان الظن بالله تعالى والتحذير من اليأس والقنوط.

٣. عزو الآيات إلى سورها.

٤. تخريج الأحاديث من كتب السنة النبوية،فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما أو إلى أحدهما ،وإن كان في غيرهما خرجته ونقلت حكم أهل العلم عليه.

٥. توثيق النقول والأقوال.

٦. عزو الأبيات إلى دواوين الشعر وكتب اللغة .



○● التمهيد : التعريف بمفردات البحث ومرادفاتها.

تعريف إحسان الظن:

الحُسن: نقيض القبح ،والحُسْنُ بالضم : الجَمال ، وأحسنتَ: فعلتَ الحَسَن، كما قيل: أجاد إذا فعل الجيّد، وأحسنتُ الشيءَ عرفتُه وأتقنتُه ، والإحسان ضد الإساءة، والمحاسن من الإنسان وغيره: ضد المساوي، والإحسان :فعل ما هو حسن مع الإجادة فى الصنع، والإحسان أعظم مراتب الدين، وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك[(١)].

وأما الظن: فهو مصدر ، وهو خلاف اليقين ، ويُطلق على معنين مختلفين: يقين وشك، فأما اليقين فقول القائل: ظننتُ ظنّا، أي أيقنتُ... ومن هذا الباب مَظِنّة الشيء، وهو مَعْلمُه ومكانُه ، ويقولون: هو مَظِنّة لكذا ، والمعنى الآخر: الشك، يقال ظننت الشيء، إذا لم تتيقنه، ومن ذلك الظِنَّةُ: التُّهمة. والظّنين: المتهم. ويقال أظنني فلان.[(٢)]

والمراد بإحسان الظن بالله تعالى :

هو جميل الاعتقاد بالله تعالى بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وتدبيره وقضائه وقدره على ما ورد في الشرع المطهر ،وأن الله تعالى وحده هو الذي يعافي عباده، ويهديهم، ويقبل توبة التائبين، وينصر المجاهدين في سبيله.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٥٧) تاج العروس (١ / ٨٠٠٨) الصحاح (٥ / ٢٠٩٩) القاموس المحيط (ص١٥٣٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢ / ٣٧٩) التعريفات (١ / ١٨٧) .

(٢) القاموس المحيط (١ / ١٥٦٦) الصحاح (٦ / ٢١٦٠) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٥ / ٤٩٠) مقاييس اللغة لابن فارس (٣ / ٤٦٢)، ولينظر تفسير ابن جرير(١/٢٦٢)، وتفسير ابن كثير (١ / ٢٥٤) ، وانظر كتاب الكليات للكفوي (ص٩٢٨)، والفروق اللغوية للعسكري (ص٧٨ـ٨٠).

ومن إحسان الظن بالله تعالى الإيمانُ بأن الله تعالى أهلٌ للإحسان والجود والكرم والعفو لمن يستحق العفو والمغفرة ، وأنه سبحانه هو الجواد الكريم والمنعم على عباده وهو أرحم الراحمين ، وتوقع الخير من الله سبحانه مع بذل الجهد الكامل في تحصيل الأسباب الشرعية والقدرية[١].

وأما القنوط في اللغة : فهو اليأس من الشيء ؛ يُقال : أَيِسَ منه إذا قنط ، واليأس واليآسة : القنوط ضد الرجاء أو قطع الأمل . [٢]

وعليه فمعنى القنوط اصطلاحا هو : اليأس.

وقيل : القنوط شدة اليأس، فيكون الفرق بينهما مثل الفرق بين الدعاء والاستغاثة ؛ فيكون القنوط يأساً ولكنه أعظمُ اليأسِ وأشدُّه.

قال ابن الأثير:(قد تكرّر ذِكر [القنوط] في الحديث وهو أشَدّ اليأس من الشيء. يُقَال: قَنِط يَقنَط وقَنَط يَقْنِط فهو قانِطٌ وقَنُوط : والقُنُوط بالضم : المصدر)[٣].

وقال أبو هلال العسكري : (القنوط أشد مبالغة من اليأس).[٤]

---

(١) المجموع شرح المهذب (٥ / ١٠٨) ، وانظر التلخيص لوجوه التخليص لابن حزم (٣ / ١٦١).
(٢) الصحاح (١١٥٥/٣)،مقاييس اللغة (٣٢/٥) (١٥٣/٦)، القاموس المحيط (ص٦٨٤ ، ٧٥١ ، ٨٨٤).
(٣) النهاية لابن الأثير (٤/ ١٨٨).
(٤) الفروق اللغوية للعسكري (ص٢٠٣)،وانظر :النهاية لابن الأثير (١١٣/٤ ، ١٨٨)، تيسير العزيز الحميد ص٤٥١.



○● حقيقة إحسان الظن بالله تعالى عند أهل السنة والجماعة.

حقيقة إحسان الظن بالله ترجع إلى تعلق القلب بالله سبحانه محبة ورغبة ورجاء وخوفا ورهبة وإجلالا ، وتوكلا وتفويضا في جميع الأمور وفي كل الأوقات، مع تغليب جانب الرجاء والمغفرة والثواب والرضا في الدنيا والآخرة ، وكذلك الثقة في الفرج والنصر والتثبيت والهداية في الدنيا ، وذلك لا يعني ترك الأخذ بأسباب السلامة والنجاة ؛ بل لا يتم إحسان الظن إلا مع الاجتهاد وبذل الأسباب ، وعند التأمل في إحسان الظن بالله تعالى ومتعلقاته يتضح أن هذه المسألة عند أهل السنة والجماعة ترجع إلى أصول :

الأصل الأول : إحسان الظن بالله هو ثمرة الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى:

وذلك أن مدارَ إحسانِ الظن بالله تعالى وأساسه الذي يقوم عليه هو معرفة العبد بما وصف الربُّ تعالى به نفسه وبما وصفه به رسولُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا الذي يثمر في قلب المؤمن تعظيمَه وإجلالَه وحسنَ الظن به وتوقعَ الخير من عنده[1]، فإذا آمن بأنه السميع المجيب القريب أثمر ذلك في قلبه ثقتَه بسماع الله تعالى لدعائه وندائه ، وأثمر له حسنُ الظنِّ توقعَ قربِ إجابةِ الله لسؤاله وحاجته، وإذا آمن بأن الله هو الرحمن الرحيم أثمر ذلك في قلبه توقعَ رحمةِ الله تعالى له فأشرق قلبُه فرحاً بفضله ورحمته ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨] ، وإذا آمن بأنه الغفور الغفار التواب أثمر له ذلك المسارعةَ إلى التوبة،

(١) مفتاح دار السعادة (٩٠/٢).

والصدقَ فيها، والعزمَ الأكيد على تجديد التوبة في كل وقت وحين ، وإذا آمن بأنه العليم القدير البصير العزيز الحكيم الجبار الكريم الفتاح الرزاق اللطيف الرفيق الشافي... أثمر له ذلك معانٍ لا حصرَ لها ، وهكذا بقية أسمائه وصفاته تورث في قلب المؤمن عظمةَ الله وجلالَه ومحبتَه ورجاءَه والخوفَ منه ، في باب واسع ومعارف جليلة لا يمكن حصرها ولا الإحاطة بعُشْرِ معشارها .

وبالجملة فمن قام بقلبه حقائق معاني أسماء الله وصفاته قام به من حسن الظن ما يناسب كل اسم وصفة لأن كل صفة لها عبودية خاصة وحسن ظن خاص ... [١]

الأصل الثاني : أن إحسان الظن بالله تعالى باعث على العمل والجد والاجتهاد :

وذلك أن إحسان الظن بالله نابع من معرفة ما يليق بالله تعالى من أسمائه وصفاته وأفعاله وإذا آمن بذلك إيماناً صادقاً فإنه بلا شك سيحمله على إتقان العمل وإحسانه ، وأما إذا ادعى أنه يحسن الظن بالله وهو مقيم على مبارزة الله تعالى بما يغضبه ، ومبتعد عن العمل الصالح الذي ينجيه ؛ فهذا من باب الأماني، ورجاء رحمة الله تعالى وحسن الظن به شيء ، والأماني شيء آخر !!

فكلُّ محسنٍ للظنِّ مجتهدٌ في عمل وعلم ينفعه ، وكلُّ راجٍ خائفٍ آخذٌ بأسباب السلامة ومبتعدٌ عن أسباب العطب والهلاك ، والسائر على الطريق إذا خاف أسرعَ مخافةَ الفوات كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل) [٢] ، فإذا قصرّ في العمل عُلم أنه مقصر في حسن الظن بالله تعالى.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١ / ٦٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٥٠) وقال حسن غريب ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(٢/٦٧٥) ،و((أَدْلَجَ)) : بإسكان الدال ومعناه سار من أول الليلِ . والمراد التشمير في الطاعة.



قال الشيخ العلامة محمد ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (يجب أن تظن بالله أحسنَ الظن، لكن بشرط أن يوجد لديك السبب الذي يوجب الظنَّ الحَسَن، وهو أن تعبد الله على مقتضى شريعته مع الإخلاص، فإذا فعلت ذلك; فعليك أن تظن أن الله يقبل منك، ولا تسيء الظن بالله بأن تعتقد أنه لن يقبل منك، وكذلك إذا تاب الإنسان من الذنب; فيُحسنُ الظنَّ بالله أنه يقبل منه، ولا يسيءُ الظنَّ بالله بأن يعتقد أنه لا يقبل منه. وأما إن كان الإنسان مُفَرِّطاً في الواجبات فاعلاً للمحرمات، وظنَّ بالله ظناً حسناً; فهذا هو ظن المتهاون المتهالك في الأماني الباطلة، بل هو من سوء الظن بالله; إذ إن حكمة الله تأبى مثل ذلك). [1]

الأصل الثالث : الجمع بين نصوص الوعد والوعيد والجمع بين الخوف والرجاء هو سبيل أهل السنة والجماعة :

طريقة أهل السنة والجماعة هي الجمع بين نصوص الوعد والوعيد، وتفسير بعضها ببعض من غير تبديل شيء منها، كما يُجمع بين نصوص الأمر والنهي من غير تبديل شيء منها ، وهذا الذي يجعل العبد حَسَن الظنِّ بالله فلا يحمله الخوف على اليأس ، ولا يدفعه الرجاء إلى التفريط ، وهذا هو الطريق الوسط والصراط المستقيم[2].

وأما من غلَّب جانب الخوف وأهمل الرجاء، أو غلَّب جانب الرجاء وأهمل الخوف؛فلا يمكن أن يكون حَسَن الظن بالله جل وعلا ؛ لدخوله فيما حرم الله عليه من اليأس والقنوط أو الاغترار .

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٣٨٣)، وانظر الجواب الكافي لابن القيم (ص ١٥، ٢١، ٩٦).
(٢) مجموع الفتاوى (١٤/٤٩٨).

الأصل الرابع : إحسان الظن بالله من أعمال القلوب:

إحسان الظن بالله تعالى من الأعمال القلبية الواجبة على الأعيان ، وأعمال القلوب مما ورد الأمر بها في القرآن والسنة ، وهي من الإيمان، فإن حقيقة الإيمان أنه : قول وعمل ، ويدخل في ذلك قول اللسان وعمل القلب وتصديقه ، وعمل الجوارح، قال العز بن عبد السلام : (وأفعال القلوب كثيرة: منها حسن الظن بالله...). (١)

وأعمال القلوب ضلت في تقريرها بعض الطوائف فمن أهل الكلام من أخرج الأعمال من مسمى الإيمان ، ومن المتصوفة من زعم أن هذه الأعمال القلبية لخاصة الأمة دون عموم المسلمين ؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن «الإيمان» أصله الإيمان الذي في القلب ولا بد فيه من «شيئين» : تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته . ويقال لهذا : قول القلب . قال «الجنيد بن محمد» : (التوحيد : قول القلب، والتوكل : عمل القلب) (٢) فلا بد فيه من قول القلب وعمله ؛ ثم قول البدن وعمله ولا بد فيه من عمل القلب؛ مثل حب الله ورسوله وخشية الله وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله وإخلاص العمل لله وحده وتوكل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان). (٣)

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١ / ١٨٩).
(٢) الرسالة القشيرية للعز ابن عبد السلام نقلا عن الاستقامة لابن تيمية (١/٢٠٩).
(٣) مجموع الفتاوى (٧ / ١٨٦).



وقال أيضا : (وطائفة تظن أن التوكل إنما هو من مقامات الخاصة المتقربين إلى الله بالنوافل، وكذلك قولهم في أعمال القلوب وتوابعها كالحب والرجاء والخوف والشكر ونحو ذلك؛وهذا ضلال مبين بل جميع هذه الأمور فروض على الأعيان باتفاق أهل الإيمان،ومن تركها بالكلية فهو : إما كافر وإما منافق لكن الناس هم فيها كما هم في الأعمال الظاهرة؛ فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات، ونصوص الكتاب والسنة طافحة بذلك). [١]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨ / ١٨٤) ، وانظر : (٧ / ١٩٠) (٧ / ١٩٥).

المبحـث الأول :

حكم إحسان الظن بالله تعالى وأحواله ووسائله وآثاره، وفيه :

- **المطلب الأول** : حكم إحسان الظن بالله تعالى والأدلة عليه .
- **المطلب الثاني** : أحوال إحسان الظن بالله تعالى عند الصحة والمرض والطاعة والمعصية والفتور والنشاط .
- **المطلب الثالث** : الوسائل المعينة على إحسان الظن بالله تعالى .
- **المطلب الرابع** : آثار إحسان الظن بالله على حياة المسلم .



○● المطلب الأول : حكم إحسان الظن بالله تعالى والأدلة عليه :

إن إحسان الظن بالله تعالى واجب على المسلم ، ولا يسقط عنه بحال ، ولا يجوز له إساءة الظن بالله على أي وجه من الوجوه،والأدلة على ذلك من القرآن والسنة كثيرة متظافرة ، وقد تنوعت دلالات النصوص في ذلك ، وفيما يلي ذكر جملة من الأدلة وأبدأها **بالأدلة من القرآن الكريم** :

أولا : الآيات الدالة على تحريم سوء الظنّ بالله، وتحريم ظنّ الجاهلية، وأن ذلك من صفات المشركين والمنافقين ؛فيُسْتنبطُ منها وجوب إحسان الظن بالله تعالى ؛ ومنها قوله تعالى : ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] ، **وقال تعالى عن الكفار وأهل النار** ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢٣] ، **وقال جل وعلا عن المشركين والمنافقين .** ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح:٦]

وورد في سبب نزول هذه الآيات أن أبا طلحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (غَشِيَنا النُّعاس ونحن في مصافِّنا يومَ أُحُد، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه، قال: والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم همٌّ إلا أنفسهم، أجْبَنُ قومٍ وأرعنُه، وأخْذلُه للحق ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ كَذَبةٌ إنما هم

أهـلُ شـكٍّ وريـبٍ في الله عـز وجـل) [١]، فأهل ظن السـوء اعتقـدوا أن المشركين لما ظهـروا تلـك السـاعة أنهـا الفيصلـة، وأن الإسـلام قد بـاد وأهله، هذا شـأن أهـل الريـب والشـك إذا حصـل أمـر مـن الأمـور الفظيعـة، تحصـل لهـم هـذه الظنون الشـنيعة. [٢]

ثانيا : قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ٤٥ - ٤٦] ، وهذا مدح للمؤمنين الذين أحسنوا الظن بالله تعالى بأنهم يستيقنون أنهم مبعوثون وأنهم محاسبون وأنهم راجعون إلى الله تعالى،وهذا الذي خفّف عليهم العبادات، وأوجب لهم التسلي في المصيبات، ونفّس عنهم الكربات، وزجرهم عن فعل السيئات، فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العاليات، وأما من لم يؤمن بلقاء ربه، كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه[٣].

ومثل هذا المدح والثناء ما ورد في قصة طالوت التي ذكرها الله تعالى في سورة البقرة حيث قال تعالى مادحا المؤمنين الذين صبروا معه وصبروا على الابتلاء وأطاعوه وقاتلوا العدو :﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] [٤].

فهـذه الآيـات تـدل على أن مـن الإيمـان الواجـب حسـن الظـن بـالله تعالى ، وأن تـرك ذلك من صفات المنافقين والمشركين .

---

(١) تفسير ابن جرير (٤/١٣٩) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/١٢٥).

(٣) انظر تفسيرالبغوي (١ / ٩٠) وتفسير السعدي (ص٥١) .

(٤) تفسير ابن كثير (١ / ٦٦٨)، تفسير السعدي (ص ٥١).



ثالثا : قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب:٢٢-٢٣]

فوصف المؤمنين في حال الشدة والكرب وتكاثر الأعداء بصفة حسن الظن به والتوكل عليه والتصديق بوعده.

ولما عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار قالوا : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ تسليماً منهم لأمر الله، وإيقاناً منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم، الذي وعدهم ... فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم، وتسليمهم لأمره الثناء، وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلا إيمانا بالله وتسليما لقضائه وأمره، ورزقهم به النصر والظفر على الأعداء .

قال ابن عباس وقتادة في قوله تعالى ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾: يعنون قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤] ، أي : هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب؛ ولهذا قال: ﴿ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾. (١)

فهذا الكلام العظيم ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ لم يصدر - مع شدة الخطوب والكروب ، واجتماع الأعداء وتألبهم - إلا عن قلوب مؤمنة واثقة بنصر الله تعالى محسنةً الظن به .

(١) انظر تفسير ابن جرير (٢٠ / ٢٣٦)، وتفسير ابن كثير(٦ / ٣٩١)، أضواء البيان (٢٣٤/٦).

رابعا :قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٣-١٧٤] جاء في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قالوا: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ .(١)

وقوله ﴿ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ ،أي : يقيناً إلى يقينهم، وتصديقاً لله ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم، ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسير فيه، ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه،وقالوا -ثقةً بالله وتوكلاً عليه، إذ خوّفهم مَنْ خوّفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين-:حسبنا الله ونعم الوكيل،يعني بقوله:حسبنا الله: كفانا الله، يعني: يكفينا الله ، ونعم الوكيل، يقول: ونعم المولى لمن وليه وكفله...(٢)

خامسا : قوله تعالى عن أفضل خلقه وخاتم رسله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

---

(١) رواه البخاري (٤٥٦٣).
(٢) انظر تفسير ابن جرير (٧ / ٤٠٥).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إلا تنصروا رسوله محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالله غني عنكم، لا تضرونه شيئا، فقد نصره في أقل ما يكون ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من مكة لما هموا بقتله، وسعوا في ذلك، وحرصوا أشد الحرص، فألجؤوه إلى أن يخرج، ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: هو وأبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ أي: لما خرجا من مكة، لجآ إلى غار ثور في أسفل مكة، فمكثا فيه ليبرد عنهما الطلب ، فهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على البال، ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أبي بكر لما حزن واشتد قلقه، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بعونه ونصره وتأييده. ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ أي: الثبات والطمأنينة، والسكون المثبتة للفؤاد، ولهذا لما قلق صاحبه سكنه وقال ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾... **وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.)** (١)

وقال أيضا: (من كان في طاعة الله ، مستعيناً بالله ، واثقاً بوعد الله ، راجياً ثواب الله، فإن الله معه ، ومن كان الله معه فلا خوف عليه ، لقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ﴾ ثم علّله بقوله :﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] ، وقال تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾)(٢)،

(١) تفسير السعدي (١ / ٣٣٧)بتصرف يسير.
(٢) تيسير اللطيف المنان (١ / ٤١٣).

وقال ابن رجب الحنبلي: (ومعيته مع أهل طاعته خاصة لهم، فهوَ سبحانه مع الذين اتقوا ومع الذين هم محسنون. وقال لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقال موسى: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، وقال في حق محمد وصاحبه ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] ولهذا قال النبي لأبي بكر في الغار: **(ما ظنك باثنين الله ثالثهما)** [١] فهذه معية خاصة غير قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧] الآية، فالمعية العامة تقتضي التحذير من علمه واطلاعه وقدرته وبطشه وانتقامه. والمعية الخاصة تقتضي حسن الظن بإجابته ورضاه وحفظه وصيانته، فكذلك القرب) [٢].

سادسا: الآيات الكثيرة في القرآن الدالة على إجابة الله تعالى لدعاء من دعاه كقوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨]، وقوله تعالى ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [النمل:٦٢]، وقوله ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ﴾ [الصافات:٧٥]، **وقوله تعالى عن زكريا** ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِى فَرۡدًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١) من حديث أنس بن مالك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.
(٢) فتح الباري لابن رجب الحنبلي (١١٦/٣).

يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ، وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠] وغيرها كثير ، فهذه الآيات تدل على إجابة الله تعالى لدعاء من دعاه ولاذ بحماه ، وأنه لا يُخيّب من رجاه ، وفي هذا من حسن الظن بالله تعالى ، والثقة فيما عنده ،وقوة اليقين والتوكل ما لا يخفى .

سابعا: **الآيات الدالة على فضل الله سبحانه على عباده المؤمنين وإحسانه وجوده وكرمه وسعة رحمته ومغفرته**، كقوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١] ، وقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام:٥٤] ،﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المزمل: ٢٠] ، ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣]. ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر:٧] ، وقوله تعالى ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر:٥٦]، وقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢] ،وقوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

واستنبط السلف من القرآن بعض الآيات في دلالتها على حسن الظن بالله ورجاء رحمته وفضله ؛ فقد أخرج عبد الرزاق في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (خمس آيات في سورة النساء لهن أحب إليّ من الدنيا جميعا :



﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ [النساء: ٣١] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ [النساء:٤٠] الآية، وقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء:٤٨]، وقوله تعالى﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء:١١٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَـٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء:١٥٢]). (١)

وروى ابن جرير أيضا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (ثماني آيات نزلت في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت، أولاهن: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [النساء:٢٦]، والثانية: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء:٢٧]، والثالثة: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ [النساء:٢٨] ...) ثم ذكر قول ابن مسعود سواء، يعني في الخمسة الباقية.(٢)

وأورد القرطبي قصةً عن الخلفاء الراشدين في ذكر أرجى آية في كتاب الله تعالى ثم قال بعد ذلك: (وقرأتُ القرآنَ من أوله إلى آخره فلم أرَ آية أحسنَ وأرجى من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]). (٣)

---

(١) تفسير عبد الرزاق (٤٤٩/١)، ورواه ابن جرير(٤٥/٥) والبيهقي في شعب الإيمان(٣٦٠/٥) والحاكم في المستدرك (٣٠٥/٢) بنحوه، ورواه البيهقي في الشعب بسند آخر(٤٥٢/١٢) وذكر أربع آيات، وانظر مجمع الزوائد للهيثمي (١١/٧).

(٢) ابن جرير(٤٥/٥)، وأخرجه البيهقي في الشعب (٤٥٦/١٢) وانظر تفسير ابن كثير في أول تفسير سورة النساء (١٧٨/٢)، وانظر رسائل ابن حزم (٣ / ١٥١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٢٠٩).



وروى الإمام أحمد بسنده عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فلما برزنا من المدينة، إذا راكبٌ يُوضِعُ نحونا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كأن هذا الراكب إياكم يريد). فانتهى إلينا الرجل، فسلّم فرددنا عليه فقال له النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أين أقبلت؟) قال: من أهلي وولدي وعشيرتي. قال: (فأين تريد؟)، قال: أريد رسول الله. قال: (فقد أصبته). قال: يا رسول الله، علمني ما الإيمان؟ قال: (تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت). قال: قد أقررت. قال: ثم إن بعيره دخلت يده في جحر جرذان، فهوى بعيره وهوى الرجل، فوقع على هامته فمات، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عليّ بالرجل). فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعداه، فقالا يا رسول الله، قُبض الرجل! قال: فأعرض عنهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال لهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أما رأيتما إعراضي عن الرجل، فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة، فعلمت أنه مات جائعا)، ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هذا من الذين قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[الأنعام: ٨٢] ثم قال: (دونكم أخاكم). [١]

ثامنا: ومن ذلك القصص التي ذكرها في القرآن من إهلاك الكافرين ونجاة الرسل وأتباعهم فإنها مشتملة على وجوب الاعتبار بالأنبياء والرسل وأتباعهم والتأسي في الصبر والتوكل وبيان العاقبة الحميدة التي لهم فيورث ذلك المؤمن حسن

---

(١) مسند أحمد (٣٥٩/٤)، وقال في مجمع الزوائد(٤٢/١) :(وفي إسناده أبو جناب وهو مدلس وقد عنعنه) ، وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٣٤/٤).

الظن بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠] ؛ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يقول تعالى: وكل أخبار نقصها عليك، من أنباء الرسل المتقدمين قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين -كل هذا مما نثبت به فؤادك -يا محمد -أي: قلبك، ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة. وقوله:﴿ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ ﴾ [هود: ١٢٠] ،أي: في هذه السورة. قاله ابن عباس، ومجاهد، وجماعة من السلف. وعن الحسن -في رواية عنه -وقتادة: في هذه الدنيا. والصحيح: في هذه السورة المشتملة على قصص الأنبياء وكيف نجاهم الله والمؤمنين بهم، وأهلك الكافرين، جاءك فيها قصص حق، ونبأ صدق، وموعظة يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتوقر بها المؤمنون). (١)

تاسعا: الآيات الدالة على تحريم القنوط واليأس من روح الله تعالى، مثل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] ، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦] ، وقوله تعالى : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(يقول: لا تيأسوا من رحمتي، إن الله يغفر الذنوب جميعا وقال: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ [الزمر: ٥٤] ، وإنما يعاتب الله أولي الألباب وإنما الحلال والحرام لأهل الإيمان، فإياهم عاتب، وإياهم أَمَرَ إن أسرف أحدهم

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٦٣) ، وانظر إغاثة اللهفان (٢/١٨٧-١٩٥).



على نفسه، أن لا يقنط من رحمة الله، وأن ينيب ولا يبطئ بالتوبة من ذلك الإسراف والذنب الذي عمل).(١)

وقال: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦] ، يقول تعالى ذكره ، قال إبراهيم للضيف : ومن ييأس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب،وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله،ولا يخيب من رجاه، فضلوا بذلك عن دين الله).(٢)

وقال السعدي: (﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾ [الحجر:٥٥] الذين يستبعدون وجود الخير، بل لا تزال راجيا لفضل الله وإحسانه، وبره وامتنانه، فأجابهم إبراهيم بقوله: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦] ، الذين لا علم لهم بربهم، وكمال اقتداره وأما من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم، فلا سبيل إلى القنوط إليه لأنه يعرف من كثرة الأسباب والوسائل والطرق لرحمة الله شيئا كثيرا). (٣)

فهذه بعض الأدلة من القرآن الكريم على وجوب إحسان الظن بالله تعالى ، ولو تدبر المسلم آيات الله تعالى لوجد فيها من المعاني التي تحثه على حسن الظن بالله أضعاف أضعاف ما ذكر .

---

(١) تفسير الطبري (٢١ / ٣٠٦).
(٢) تفسير الطبري (١٧ / ١١٣).
(٣) تفسير السعدي (١ / ٤٣٢).

الأدلة من السنة :

أولا : عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام ،يقول :(لا يموتن أحدكم ، إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل). [٤]

ثانيا: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى : (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم ، وإن تقرب شبراً إلي تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة).[٥]

وللحديث ألفاظ مقاربة ؛ منها ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله - جل وعلا - يقول : أنا عند ظن عبدي بي : إن ظن خيرا فله، وإن ظن شرا فله). [٦]

ثالثا: عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قال - الله تبارك وتعالى - : أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء). [٧]

وعن حيان أبي النضر ؛ قال: خرجت عائداً ليزيد بن الأسود، فلقيت واثلة بن الأسقع ، وهو يريد عيادته ؛ فدخلنا عليه فلما رأى واثلة بسط يده ، وجعل يشير

---

(٤) رواه مسلم (٢٨٧٧).

(٥) رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

(٦) رواه أحمد في المسند (٢/٣٩١)وابن حبان (٦٣٩)، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (١٦٦٣).

(٧) رواه أحمد في المسند (٣/٤٩١ ، ٤/١٠٦)و ابن حبان (٦٣٣)والحاكم (٤/٢٤٠) وصححه ، وصحح سنده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٦٦٣).

إليه ؛ فأقبل واثلة حتى جلس ؛فأخذ يزيد بكفي واثلة فجعلهما على وجهه ؛ فقال له واثلة: كيف ظنك بالله؟ قال: ظني بالله ـ والله ـ حَسَنٌ ، قال:فأبشر ؛ فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (قال الله جل وعلا : أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا وإن ظن شرا). (١)

وهذه الأحاديث الثلاثة من الأحاديث المصرحة بوجوب حسن الظن بالله تعالى، وتأكد ذلك عند الموت وقرب حلول الأجل ، ومن معاني قوله: (أنا عند ظن عبدي بي) أي : بالكفاية إذا استكفاني ، والكلاءة له إذ استكلأني ، والإقبال عليه إذا أناب إليّ، والإجابة له إذا دعاني ، والقبول منه إذا عمل لي ، والمغفرة له إذا استغفر لي ؛ لأن هذه الأوصاف لا تظهر من العبد إلا إذا أحسن بالله ظنه ، وقوي يقينه ، قال النووي : (وقيل: المراد به الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح). (٢)

رابعا: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **، قال : سمعت رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يقول :**

(قال الله تعالى : يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي،يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم ، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا ، لأتيتك بقرابها مغفرة). (٣)

---

(١) أخرجه ابن حبان برقم (٦٤١) ، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم ١٦٦٣.

(٢) انظر:بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي (٩٥/١)،شرح النووي على مسلم(٢/١٧ ،٢١٠)، فتح الباري لابن حجر(١٣/ ٣٨٦).

(٣) رواه أحمد في المسند (١٧٢/٥) والترمذي في سننه (٣٥٤٠) . وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص٤٠٠) : (وإسناده لا بأس به) ، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم (١٢٧).

ودلالة الحديث على وجوب حسن الظن بالله تعالى أن مغفرة الذنوب معلقة بالدعاء والرجاء والاستغفار وهذا مرتبط بحسن الظن بالله تعالى، وأساس ذلك كله السلامة من الشرك.

ومن هنا يُعْلم أن الأحاديث الواردة في بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب تدل على حسن الظن بالله ، وقد ذكر الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة مفيدة منها في كتاب التوحيد في باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب وباب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب [١].

وكذلك الأحاديث الدالة على فضل التوبة والاستغفار ، وأحاديث فضل الدعاء وإجابة الله تعالى له يُسْتنبط منها وجوب حسن الظن بالله تعالى .

خامسا: عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال : (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)، زاد البخاري في رواية من طريق همام عن قتادة : فقالت عائشة - أو بعض أزواجه - :إنا لنكره الموت، قال: (ليس ذلك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله ، فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضر بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه) .** [٢]

---

(١) انظر كتاب التوحيد وشروحه ومنها : تيسير العزيز الحميد ص (٦٩ ،٩٩) ،فتح المجيد ص(٢٩ ، ٤٧).

(٢) أخرجه البخاري(٦٠٢٦_ ٦٠٢٧) ومسلم(٤٨٤٥) .



بعض أقوال أهل العلم في إحسان الظن بالله تعالى:

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إذا رأيتم الرجل بالموت ، فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن به ، وإذا كان حيا ، فخوفوه بربه عز وجل) [١]، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (والله الذى لا إله إلا هو ما أُعطي عبدٌ مؤمنٌ قط شيئاً خيراً من حسن الظن بالله، والله الذى لا إله إلا هو لا يحسن عبد الظن إلا أعطاه الله ظنه ، وذلك أن الخير فى يديه)[٢]، وقال المعتمر بن سليمان: قال لي أبي عند موته: يا معتمر حدثني بالرخص لعلي أن ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به.

وكانوا يستعجبون أن يُذَكِّروا العبْدَ بمحاسن عمله عند موته كي يحُسنَ الظن بربه،وقال الفضيل بن عياض: ما دمت حيا فلا يكن شيء عندك أخوف من الله عز وجل، وإذا نزل بك الموت فلا يكن عندك شيء أرجى من الله عز وجل[٣].

وقال ابن هبيرة في تعليقه على حديث (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) : (يدل على استحباب تحسين العبد ظنه عند إحساسه بلقاء الله ، لئلا يكره أحد لقاء الله يود أن لو كان الأمر على خلاف ما يكرهه ، والراجي المسرور يود زيادة ثبوت ما يرجو حصوله وتغلب رجائه). [٤]

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (واتفق أصحابنا وغيرهم على أنه يستحب للمريض ومن حضرته أسباب الموت ومعاناته أن يكون حسن الظن بالله تعالى بالمعنى الذي

(١) شرح السنة للبغوي (٢٧٥/٥).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩٩/١٠).

(٣) العاقبة في ذكر الموت لعبد الحق الإشبيلي (ص١٤٦).

(٤) انظر التمهيد لابن عبد البر (٢٥/١٨) وانظر مراقي الفلاح (١ / ٢٢٤) القوانين الفقهية (١٤٠/٣) مواهب الجليل شرح مختصر خليل (٣ / ٢١) التاج والإكليل (٢١/٣-٢٢)،منح الجليل (٣ / ١١٢).

ذكرناه راجيا رحمته ...). [١] ، وقال في شرحه على مسلم : (قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن) وفى رواية إلا (وهو يحسن الظن بالله تعالى) قال العلماء : هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة) . [٢]

وذكر ابن حجر الهيتمي: (أن الكلام في مقامين أحدهما شخص يُجَوِّزُ وقوع الرحمة له والعذاب، فهذا هو الذي تعرض له الفقهاء، **فإن كان مريضا ندب له تغليب جانب الرجاء** وإن كان صحيحا اختلفوا فيه كما رأيت.

ثانيهما في شخص آيس من وقوع شيء من أنواع الرحمة له مع إسلامه، وهذا هو الذي كلام الزواجر فيه، فهذا اليأس كبيرة اتفاقا؛ لأنه يستلزم تكذيب النصوص القطعية التي أشرنا إليها .

ثم هذا اليأس قد تنضم إليه حالة أشد منه في التصميم على عدم وقوع الرحمة له وهو القنوط بحسب ما دل عليه سياق (فهو يئوس قنوط) ، وتارة ينضم إليه أنه مع عدم رحمته له يُشدّد عذابُه كالكفار وهذا هو المراد بسوء الظن هنا فتأمل ذلك فإنه مهم وقد علم مما قدمته عن الفقهاء أن المراد بإحسان الظن المندوب: أنه يظن أن الله يرحمه ومن الرحمة أن الله يوفقه للخير، وأن يعطيه ما يسأل منه مما يتعلق بالدنيا أو الآخرة، وإن الإنسان إذا رأى أحواله غير جارية على سنن الاستقامة فاشتد الخوف عنده بسبب ذلك وخشي أن يعاقب على قبائحه مع تجويزه أن الله تعالى قد يعفو عنه ويغفر له لم يكن هذا من سوء الظن؛ بل هو من

(١) المجموع شرح المهذب (٥ / ١٠٨).

(٢) شرح مسلم للنووي (٢٠٩/١٧) وانظر : فتح الباري (٣٠١/١١)،(٣٨٦/١٣) مغني المحتاج(٢٠١/٤) نهاية المحتاج (٣٦/٨).



الحالات الكاملة والأحوال الفاضلة؛ فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه) [١]، وورد عن الخلفاء الراشدين وبقية أئمة السلف من أنواع الخوف ما يفتت الكبد ويذيب الجلد،ولذلك جرى جماعة أجلاء على ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء مطلقاً؛ لأنه ما دام ترجيحه باقيا كان حاملا على اجتناب المعاصي وغيرها من سائر ما لا ينبغي، بخلاف ترجيح جانب الرجاء؛ فإنه غالبا يحمل صاحبه على اقتراف النقائص)[٢].

وقال المرداوي: (يحسن المريض ظنه بربه،قال القاضي: يجب ذلك...). [٣]

وقال ابن مفلح: (والرجاء بحسب رحمة الله التي سبقت غضبه يجب ترجيحه،كما قال تعالى : (أنا عند حسن ظن عبدي بي ، فليظن بي خيرا) وأما الخوف فيكون بالنظر إلى تفريط العبد وتعديه ، فإن الله عدل لا يأخذ إلا بالذنب) . [٤]

وقال ابن القيم: (أن أعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به؛ فإن المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس، فظن به ما يناقض أسماءه وصفاته، ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦])[٥]

---

(١) أخرجه البخاري بنحوه في صحيحه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رقم (٢٠).

(٢) الفتاوى الفقهية الكبرى (٢/٢٢).

(٣) الإنصاف(٢/٣٢٥)وانظر: كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/٨٠)، منتهى الإرادات(١/٣٨٤)،مطالب أولي النهى(٤/٣٣٠).

(٤) الفروع (٣ / ١٨٥).

(٥) الجواب الكافي (ص٩٦) ، وانظر الصواعق المرسلة (٤/١٣٥٦).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:(ويحسن الظن بالله وجوباً ولا يتمنى الموت لضر نزل به) . [١]

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شرحه لكتاب التوحيد في باب قول الله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥٤] (أراد المصنف بهذه الترجمة التنبيه على وجوب حسن الظن بالله لأن ذلك من واجبات التوحيد، ولذلك ذم الله من أساء الظن به...) . [٢]

وقال الشيخ محمد ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (يجب عليك أن تحسن الظن بالله عز وجل فيما يفعله -سبحانه وتعالى- في هذا الكون ...، وفيما يفعله بك؛ فهذا يجب أن تظن بالله أحسن الظن، لكن بشرط أن يوجد لديك السبب الذي يوجب الظن الحسن، وهو أن تعبد الله على مقتضى شريعته مع الإخلاص...). [٣]

هذا عرض موجز لبعض أقوال أهل العلم في حسن الظن بالله تعالى ،وقد يُلْحظ أن بعض العلماء عبر باستحباب حسن الظن بالله تعالى،مع أنه واجب على كل مسلم ومسلمة،والجواب عن ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ بما يلي :

إنّ حُسنَ الظنِّ بالله تعالى درجات ؛ فالواجب على كل مسلم ومسلمة السلامة من سوء الظن بالله تعالى والقنوط من رحمته واليأس من روحه ، وإذا سلم العبد من هذه الدرجة فقد حقق الواجب من حسن الظن بالله تعالى المفترض عليه ،

---

(١) موسوعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب (٩/١١).

(٢) تيسير العزيز الحميد (١ / ٦٠٥)،وانظر الملخص المفيد شرح كتاب التوحيد (١ / ٣٨٥) .

(٣) تيسير العزيز الحميد (١ / ٦٠٥)،وانظر الملخص المفيد شرح كتاب التوحيد (١ / ٣٨٥) .

ثم يبقى بعد ذلك الكمال في تحقيق حسن الظن بالله تعالى ، وهذا درجات متفاوتة بحسب ما يقوم بقلب العبد من معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن حسن الظن يدخل في باب الرجاء ، والجمع بين الخوف والرجاء واجب ؛ لكن المريض ينبغي له أن يغلب جانب الرجاء على الخوف في هذه الحالة ، ولهذا عبر بعض الفقهاء باستحباب حسن الظن بالله عند قرب الأجل .

وبهذا يجتمع كلام أهل العلم ؛ فمن قال بوجوبه نظر إلى المعنى الأول وهو الدرجة الواجبة على كل مسلم وهي ما يتحقق به السلامة من سوء الظن ، ومن نظر إلى الكمال قال إنه يستحب خصوصا عند حضور الأجل ؛ فينبغي للعبد حينئذ أن يحقق أعلى الكمال في حسن ظنه بالله تعالى ، والله تعالى أعلم .

❁ ❁ ❁

○● المطلب الثاني : أحوال إحسان الظن بالله تعالى عند الصحة والمرض ، والطاعة والمعصية والفتور والنشاط .

تقدم أن إحسان الظن بالله تعالى واجب على جميع الأحوال ، ولكن يتأكد على المسلم استحضار هذا الواجب وبلوغ الكمال فيه وتذكره واستحضاره في سائر أحوال حياته ،ويولي الأهم فالأهم من ذلك أعظمه ، ومنها حال مرضه ، وكذلك حال فتوره، وحال وقوعه في المعصية ، أو فعله للطاعة ، وكذلك عند حلول الموت به نسأل الله تعالى حسن الخاتمة ، وفيما يلي تفصيل لهذه الأحوال :

✵✵ حال المسلم في حال الصحة والمرض:

يجب على المسلم لزوم إحسان الظن بالله في حال صحته ،وفي حال مرضه يتأكد هذا في حقه ، ولارتباط هذه المسألة بمسألة الرجاء والخوف أيهما يُغلّب ؛ أشير إلى أقوال أهل العلم في ترجيح أحدهما على الآخر :

القول الأول : أنه يجب تغليب الرجاء على الخوف[١].

القول الثاني : أنه يجب تغليب الخوف على الرجاء[٢].

القول الثالث : أنه في حال الصحة يغلب الخوف لحمله على العمل ، وفي حال المرض يغلب الرجاء وحسن الظن بالله تعالى[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين (١٦٤/٤).
(٢) نسبه النووي للقاضي حسين من الشافعية، انظر: المجموع شرح المهذب (١٠٨/٥)، تيسير العزيز الحميد (ص٥١١).
(٣) انظر: إحياء علوم الدين (١٦٦/٤)، تيسير العزيز الحميد (ص٥١١).



القول الرابع : يغلب الشيخ الرجاء ، والشاب الخوف ، وقال آخرون : إن أمن داء القنوط فالرجاء أولى ، أو أمن المكر فالخوف أولى ،وقيل غير ذلك [١].

القول الخامس : أنه يجب التسوية بينهما فلا يغلب جانب على الآخر ، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون رجاؤه وخوفه واحدا ، فأيهما غلب صاحبه هلك ، ونص عليه الإمام أحمد ، ورجحه النووي وابن تيمية وقال : (وهذا هو العدل ولهذا من غلب عليه حال الخوف أوقعه في نوع من اليأس والقنوط ، إما في نفسه وإما في أمور الناس ، ومن غلب عليه حال الرجاء بلا خوف أوقعه في نوع من الأمن لمكر الله ، إما في نفسه وإما في أمور الناس)[٢].

وفي المجموع شرح المهذب، لما ذكر حال المرض وتغليب الرجاء وحسن الظن بالله ، قال بعد ذلك : (وأما في حال الصحة ففيه وجهان لأصحابنا حكاهما القاضي حسين وصاحبه المتولي وغيرهما (أحدها) يكون خوفه ورجاؤه سواء ، (والثاني) يكون خوفه أرجح ؛قال القاضي هذا الثاني هو الصحيح . هذا قول القاضي (والأظهر) أن الأول أصح ودليله ظواهر القرآن العزيز فإن الغالب فيه ذكر الترغيب والترهيب مقرونين كقوله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤] ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الحاقة: ١٩]). [٣]

---

(١) انظر :آداب النفوس للمحاسبي (ص٦٨) ،التبصرة لابن الجوزي (ص٣٥٨)، غذاء الألباب (٣٥٤/١).

(٢) الفروع (٣ / ١٨٥)، وانظر : التخويف من النار لابن رجب الحنبلي (ص٢٩)، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (١ / ٣٥٩).

(٣) المجموع شرح المهذب (١٠٨/٥).

وقال في شرح صحيح مسلم: (وفى حالة الصحة يكون خائفا راجيا ويكونان سواء وقيل يكون الخوف أرجح فإذا دنت أمارات الموت غَلّب الرجاء أو مَحّضه؛لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح ،والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه فى هذا الحال؛فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى ، والإذعان له ويؤيده الحديث المذكور بعده : (يُبْعث كل عبد على ما مات عليه) [١] ...). [٢]

وقال في منح الجليل: (وأما الصحيح الذي لم تقم به علامة الموت فيغلب الخوف على الرجاء ليستعين به على التقوى ، وهذا هو التحقيق ، وقيل يغلب الرجاء لاحتمال موته فجأة ، وقيل يسوي بينهما كجناحي طائر إن مال بأحدهما سقط). [٣]

وقال الصنعاني رحمه الله:(يَحْسُنُ أن يُذكَّر المريض بسعة رحمة الله ولطفه وبرّه، فيُحْسِنُ ظنَّه بربه. لما أخرجه مسلم من حديث جابر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته:(لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحْسنُ الظنَّ بربه) [٤]، وفي الصحيحين مرفوعاً من حديث أبي هريرة : (قال الله: أنا عند ظن عبدي بي)[٥]. وروى ابن أبي الدنيا عن إبراهيم قال: (كانوا يستحبون أن يُلَقِّنوا العبدَ محاسنَ عملِه عند موته، لكي يُحْسِنَ ظنه بربه)[٦]، وقد قال بعض أئمة العلم: إنه يَحْسُنُ جمعُ أربعين حديثاً في الرجاء تقرأ على المريض فيشتد حسن ظنه بالله تعالى، فإنه تعالى عند ظن عبده

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٨).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٧ / ٢٠٩) ، وانظر الزواجر عن اقتراف الكبائر(ص ٢٢٩).

(٣) منح الجليل (٣ / ١١٢).

(٤) رواه مسلم (٢٨٧٧).

(٥) رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

(٦) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا رقم ٣٠ ، وكتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا ص ٤٠ .



به ، وإذا امتزج خوف العبد برجائه عند سياق الموت فهو محمود، وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل على شاب وهو في الموت فقال: (كيف تجدك؟) قال: أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وآمنه مما يخاف)[1]. [2]

حال المسلم عند الطاعة والمعصية :

يكون إحسان الظن بالله تعالى في هذا المقام : بعدم الاغترار بعد فعل الطاعة، ورجاء قبولها، وعند المعصية بعدم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى والمبادرة بإحداث التوبة والإقلاع عن المعاصي ، وسأذكر بعض النصوص في هذا الباب وكلام العلماء حول هذا المعنى .

أما ما يتعلق بحسن الظن عند الطاعة ؛ فمما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قالت : سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الآية فقلت: أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون؟ فقال : (لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون أن لا يتقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات)[3]؛ أي:أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٧] .

---

(١) أخرجه الترمذي رقم(٩٨٣) ، وابن ماجه رقم(٤٢٦١) وحسن إسناده المنذري في الترغيب(١٣٥/٤) ، والألباني في أحكام الجنائز ص٣.

(٢) سبل السلام (٢ / ٩٠).

(٣) أخرجه الترمذي(٣١٧٥) ،وابن ماجه (٤١٩٨) ،وأحمد (١٥٩/٦)، والحاكم (٤٢٧/٢) وقال صحيح الإسناد ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٦٢)(٢٥٥/١).

ومن السنة ، أن حمران بن أبان ، قال:أتيت عثمان بن عفان رضي الله عنه بطهور وهو جالس على المقاعد ؛فتوضأ فأحسن الوضوء ، ثم قال:رأيت النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وهو في هذا المجلس فأحسن الوضوء ،ثم قال:(من توضأ مثل هذا الوضوء، ثم أتى المسجد فركع ركعتين ثم جلس غفر له ما تقدم من ذنبه)، قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تغتروا) . (١)

والشاهد قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تغتروا) قال ابن بطال في شرح صحيح البخارى ، باب قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [فاطر: ٥] : (نهى الله عباده عن الاغترار بالحياة الدنيا وزخرفها الفاني ، وعن الاغترار بالشيطان ، وبين لنا تعالى عداوته لنا لئلا نلتفت إلى تسويله وتزيينه لنا الشهوات المردية ، وحذرنا تعالى طاعته وأخبر أن أتباعه وحزبه من أصحاب السعير ، والسعير : النار . فحق على المؤمن العاقل أن يحذر ما حذره منه ربه عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم وأن يكون مشفقا خائفا وجلا ، وإن واقع ذنبا أسرع الندم عليه والتوبة منه وعزم ألا يعود إليه ، وإذا أتى حسنة استقلها واستصغر عمله ولم يدل بها ، ألا ترى قول عثمان : (من أتى المسجد ، فركع ركعتين ثم جلس ، غفر له ما تقدم من ذنبه)، وهذا لا يكون إلا من قول النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتبع ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم:(لا تغتروا)،ففهم عثمان رضي الله عنه من ذلك أن المؤمن ينبغي له ألا يتكل على عمله ، ويستشعر الحذر والإشفاق بتجنب الاغترار،

(١) رواه البخاري(٦٤٣٣).



وقد قال غير مجاهد في تفسير الغرور، قال : هو أن يغتر بالله ، فيعمل المعصية ويتمنى المغفرة). [١]

وقال ابن حجر في شرح قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لا تغتروا) : (أي: فتستكثروا من الأعمال السيئة بناء على أن الصلاة تكفرها ؛ فإن الصلاة التي تُكَفّر بها الخطايا هي التي يقبلها الله وأنى للعبد بالاطلاع على ذلك). [٢]

وقال أيضا : (لا تحملوا الغفران على عمومه في جميع الذنوب فتسترسلوا في الذنوب اتكالا على غفرانها بالصلاة ؛ فإن الصلاة التي تُكَفِّر الذنوبَ هي المقبولة، ولا اطلاع لأحد عليه، وظهر لي جواب آخر وهو: أن المُكَفَّرَ بالصلاة هي الصغائر؛ فلا تغتروا فتعملوا الكبيرة بناء على تكفير الذنوب بالصلاة فإنه خاص بالصغائر، أو لا تستكثروا من الصغائر ؛ فإنها بالإصرار تُعطى حكم الكبيرة فلا يكفرها ما يكفر الصغيرة ، أو أن ذلك خاص بأهل الطاعة فلا يناله من هو مرتبك في المعصية) .[٣]

أما حسن الظن بالله مع فعل المعاصي والموبقات وترك الفرائض والواجبات ثم دعوى الاعتماد على سعة عفوه ورحمته مع تعطيل الأوامر والنواهي فهذا ظن كثير من الجهال ، وهذا خطأ قبيح .

وحسن الظن من الرجاء،فمن كان رجاؤه حاملا له على الطاعة زاجرا له عن المعصية فهو رجاء صحيح ، ولو أن رجلا له أرض يؤمِّلُ أن يعود عليه من مَغَلِّها

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠ / ١٥٧).
(٢) فتح الباري (١ / ٢٦١).
(٣) فتح الباري (١١ / ٢٥١).

ما ينفعه ، فأهملها بلا حرث ولم يبذرها وحسّنَ ظنَّه بأنه يأتي من مَغَلِّها مثلُ ما أتى مَنْ حَرَثَ وبَذَرَ وسقى وتَعاهدَ الأرضَ لعدَّهُ الناسُ مِنْ أسفه السفهاء ، وكذا لو حسن ظنه وقوي رجاؤه أن يأتيه ولد من غير جماع ، أو يصير أعلم زمانه من غير طلب للعلم ، وبذل مجهوده في تحصيله وتقييد شوارده وتحقيق فوائده وأمثال ذلك، وكذا من حسن ظنه ، وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم ، من غير عمل ولا طاعة ولا امتثال لما أمر تعالى به واجتناب ما نهى عنه ، فإنه يكون من أسفه السفهاء ويعد من أحمق الحمقاء .

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني ، والرجاء شيء والأماني شيء فكل راج خائف ، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع مخافة الفوات كما ذكر المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل) [١] وهو جل شأنه إنما جعل الرجاء لأهل الأعمال ، فعلم أن الرجاء إنما ينفع إذا حث صاحبه على طاعة مولاه .

والمقصود أن من زعم أنه حسن ظنه بالله مع انهماكه في اللذات،وانكبابه على المعاصي والشبهات ،وإعراضه عن الأوامر والطاعات فهو من الحمق على جانب عظيم، وإنما الذي عليه أماني وغرور ؛ فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز .

وعن الحسن قال: (إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول إني لحسن الظن بربي، وكذب! لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل)[٢].

---

(١) تقدم تخريجه ص١٣..

(٢) أخرجه عن الحسن: ابن أبي الدنيا في الوجل والتوثق بالعمل (ص٢٨)، وابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين (١ / ٨٨١) .



قال ابن حزم ـ بعد تعداده لبعض الوصايا للمسلمين ـ :

(ويستحب من الذكر ما تقدم في أول هذه الرسالة، فبهذا يتخلص المسلم من عذاب الله، ويستوجب الجنة بفضل الله، فمن عجز عن هذا كله فليقتصر على أداء الفرائض واجتناب الكبائر فإنه فائز، ومع هذا فلْيَخَفْ ربَّه وليُحْسِنَ الظنَّ به، فقد صح عنه عليه السلام أنه قال :(إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي). فاعلموا أن تحسين الظن بالله تعالى أجر عظيم، وأنه عمل بالقلب رفيع فاضل، فلعل ربه تعالى قد حفظ له حسنة لا يلقي العبدُ إليها بالَه ولا يذكر علتها، كما أنه أيضاً ربما هلك بسيئة حفظت عليه كان هو يحقرها، وليدم على فعل الخير وإن قل، فبهذا جاء الأثر الصحيح :(أحب الأعمال إلى الله أدومها) [١]،ولا أحب لنفسي ولكم ولا لأحد من المسلمين التقصير عن هذا، فمن ابتلي بالتقصير عنه فليتدارك نفسه بالتوبة والندم والاستغفار فيما سلف فإنه يجد ربه قريباً إذا راجعه، قابلاً له إذا فزع إليه، غافراً لما سلف من ذنوبه كما قال تعالى : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾ [غافر: ٣] ، فمن امتحن بتسويف التوبة ومماطلة النفس، فليكثر من فعل الخير ما أمكنه، ولعل حسناته تذهب سيئاته، وليدخل في قوله:﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [التوبة: ١٠٢] ، ولعله يقل مكثه في النار، فقد جاء النص الصحيح بتفاضل مقامهم، فمن ابتلي وعجز فليتمسك بالعروة الوثقى، عروة الإسلام، وليعلم قبح ما يقول، فلعله ينجو من الخلود، وهو ناج منه بلا شك عن مات مسلماً). [٢]

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم(٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا.

(٢) رسائل ابن حزم (٣ / ١٦١).

وقال ابن القيم: (فلو كان معول حسن الظن على مجرد صفاته وأسمائه لاشترك في ذلك البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ووليه وعدوه، فما ينفع المجرم أسماؤه وصفاته، وقد باء بسخطه وغضبه، وتعرض للعنته، وأوقع في محارمه وانتهك حرماته؛ بل حسن الظن ينفع من تاب وندم، وأقلع وبدل السيئة بالحسنة،واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة، ثم أحسن الظن ؛فهذا حسن ظن ، والأول غرور ، والله المستعان...) .[١]

وقال أيضا : (ففرق بين حسن الظن بالله وبين الغرة به ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة:٢١٨] ؛ فجعل هؤلاء أهل الرجاء لا الظالمين والفاسقين، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل:١١٠] ، فأخبر سبحانه أنه بعد هذه الأشياء غفور رحيم لمن فعلها فالعالم يضع الرجاء مواضعه والجاهل المغتر يضعه في غير مواضعه ...ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند ... وقيل للحسن: نراك طويل البكاء؛ فقال: أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي[٢]، وسأل رجل الحسن ، فقال: يا أبا سعيد كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تنقطع؟ فقال:والله لأن تصحب أقواما يخوفونك حتى تدرك أمناً، خيرٌ لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف[٣]، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد، قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الجواب الكافي ص١٥.
(٢) المدهش لابن الجوزي ص٣٦٢ .
(٣) الزهد لابن المبارك ص١٠٢ .



يقول: (يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلقُ أقتابُ بطنِه فيدور في النار كما يدور الحمار برحاه، فيطوف به أهل النار فيقولون: يا فلان ما أصابك! ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر! فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه...) [١]، وأورد ابن القيم عددا من الأحاديث الدالة على خطر الذنوب وعاقبتها الدينية والدنيوية ،ثم قال ابن القيم : (والأحاديث في هذا الباب أضعاف أضعاف ما ذكرنا، فلا ينبغي لمن نصح نفسه أن يتعامى عنها ويرسل نفسه في المعاصي ويتعلق بحسن الرجاء وحسن الظن؛ قال أبو الوفاء بن عقيل : احذر ولا تغتر فإنه قطع اليد في ثلاثة دراهم ، وجلد الحدَّ في مثل رأس الإبرة من الخمر ، وقد دخلت المرأة النار في هرة ،واشتعل الشملة نارا على مَنْ غلّها وقد قُتل شهيدا)[٢].

فالخلاصة أن حسن الظن بالله تعالى في حال الطاعة :

✸ أن يرجو قبول عمله ، وهذا يدعوه إلى إحسان عمله وسعيه في إتقانه.

✸ ألا يغتر بعمله فيورثه الإعجاب والغرور والكبر الذي يسبب حبوط العمل .

✸ محبة ما يرجوه ويحسن الظن بالله تعالى في فعله والتقرب إلى الله تعالى به .

✸ الخوف من فوات الأعمال التي تقربه إلى الله تعالى .

✸ الاستمرار والدوام ، وفي الحديث : (أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل) [٣]،

---

(١) البخاري (٣٢٦٧) ومسلم (٢٩٨٩)،والأَقتاب : جمع القتب ، وهو الأمعاء .

(٢) الجواب الكافي ص٢١ .

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٦٤) ، ومسلم (٧٨٢) .

فقليل دائم خير من كثير منقطع.

✸ موافقة السنة واجتناب البدعة ،وكان بعض السلف يقول:(اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة) [١].

وأما عند المعصية فيكون حسن ظنه بالله تعالى في هذه الحالة :

✸ بفتح باب التوبة

✸ وإصلاح العمل

✸ والإكثار من فعل الخير والأعمال الصالحة

✸ وعدم اليأس والقنوط ، ويدل لذلك حديث الصادق المصدوق[٢] ، وحديث قاتل (التسعة والتسعين نفساً) [٣] وغيرها من الأحاديث.

ويتحصل مما سبق أن حسن الظن والرجاء إن حمل على العمل وحث عليه وساق إليه فهو صحيح ونافع ، وهو من أجل المقامات .

وإن دعا إلى البطالة والتواني والانهماك في المعاصي والأماني والانكباب على الضلالة فهو غرور ضار مهلك لصاحبه ، وقاطع له عن ربه، وليس من حسن الظن بالله في شيء.

---

(١) روي عن ابن مسعود ،انظر :معجم الطبراني (٢٠٨/١٠) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦).



حال المسلم عند الفتور والنشاط :

إن العبد في حياته يمر بأحوال متقلبة فينشط تارة ويمل ويكسل تارة أخرى، والمسلم مطالب بحسن الظن بالله تعالى في الحالتين ومعالجة كل حالة بما يناسبها، وقد وردت السنة بذلك .

إحسان الظن بالله حال الفتور : إن المسلم حال الفتور الذي لا يسلم منه أحد، يجب عليه أن يحسن الظن بالله في هذه الحال وذلك بما يلي :

١-لزوم السنة والثبات على الدين .

٢-التمسك بالفرائض وعدم التهاون في الواجبات .

٣-مقاومة الهوى والنفس الأمارة بالسوء .

٤-الحذر من التمادح على الكسل وترك العمل الذي قد يورث العجب والكبر.

وأورد البخاري في صحيحه في باب ما يُكره من التشديد في العبادة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال : (ما هذا الحبل ؟) قالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت به ، فقال صلى الله عليه وسلم: (لا ؛ حُلُّوه ، ليُصِلّ أحدُكم نشاطَه ، فإذا فتر فليقعد)[1].

وأورد حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كانت عندي امرأة من بني أسد، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (من هذه ؟) قلت : فلانة ، لا تنام بالليل ، تذكر

(١) أخرجه البخاري (١١٥٠)، ومسلم (٧٨٤) .

من صلاتها ، فقال: (مَهْ ، عليكم ما تطيقون من الأعمال ، فإن الله لا يمل حتى تملوا). (١)

قال ابن بطال: (إنما يكره التشديد فى العبادة خشية الفتور وخوف الملل ... وقد قال تعالى :﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج:٧٨] ، فكره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإفراط فى العبادة ، لئلا ينقطع عنها المرء فيكون كأنه رجوع فيما بذله من نفسه لله تعالى ، وتطوع به). (٢)

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن لكل عملٍ شِرّةً ، ولكل شرّةٍ فترةٌ ،فمن كانت فتْرتُه إلى سنتي فقد أفلح ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك). (٣)

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (إن لكل شيء شِرَّةً ، ولكل شِرّةٍ فَتْرةٌ ، فإن كان صاحبها سدد وقارب فارجوه ، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه). (٤)

وفي لفظ عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : ذُكِر لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجال ينصبون في العبادة من أصحابه نصباً شديداً ، قال : فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تلك ضراوة الإسلام و شِرّتُه ، و لكل ضراوةٍ شِرّةٌ ، و لكل شِرّةٌ فَتْرةٌ ، فمن كانت

(١) أخرجه البخاري (١١٥١) ، ومسلم (٧٨٥) .
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣ / ١٤٤) .
(٣) رواه أحمد في المسند (١٨٨/٢)وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٥١) وابن حبان (١٨٧/١) ، وصححه الألباني في ظلال الجنة في التعليق على السنة لابن أبي عاصم(٢٨/١) .
(٤) رواه الترمذي (٢٤٥٣) وقال :حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وابن حبان (٦٢/٢).

فَتْرَتُه إلى الكتاب و السنة فلأَمٍّ مَا هُوَ ، و من كانت فترته إلى معاصي الله ، فذلك الهالك). [١]

قال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله (إن لكل شيء شرة) أي : حرصا على الشيء ونشاطاً ورغبة في الخير أو الشر، (ولكل شرة فترة) أي : وَهْنَاً وضَعْفاً وسكوناً ،(فإن كان صاحبها سدد وقارب) أي : جعل صاحب الشرة عمله متوسطا ، وتجنب طرفي إفراط الشرة وتفريط الفترة ، (فارجوه) أي : ارجو الفلاح منه ؛ فإنه يمكنه الدوام على الوسط، وأحب الأعمال إلى الله أدومها ، (وإن أشير إليه بالأصابع) أي: اجتهد وبالغ في العمل ليصير مشهورا بالعبادة والزهد وسار مشهورا مشارا إليه، (فلا تعدوه) أي : لا تعتدوا به ولا تحسبوه من الصالحين لكونه مرائيا ، ولم يقل فلا ترجوه إشارة إلى أنه قد سقط ولم يمكنه تدارك ما فرط). [٢]

ومما يدخل في هذا الباب قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللّٰهُمَّ إني أعوذ بك من الكسل والهرم)[٣]

قال الكلاباذي : (الكسل : فتور في الإنسان عن الواجبات ، فإن الفتور إذا كان في الفضول وما لا ينبغي فليس بكسل ، بل هو عصمة ، وإذا كان في الواجبات فهو كسل ، وهو الثقل ، والفتور عن القيام بالواجب ، وهو الخذلان ، قال الله

---

(١) أخرجه أحمد (٢ / ١٦٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٥٩): (رواه الطبراني في الكبير وأحمد بنحوه ، ورجال أحمد ثقات ، وقد قال ابن إسحاق : حدثني أبو الزبير ، فذهب التدليس) ، ومعنى فلأم ما هو كما في لسان العرب (١٢ / ٢٢) :(أَي قَصْدِ الطريق المُسْتقيم يقال أَمَّه يَؤُمُّه أَمّاً وتأَمَّمَهُ وتَيَمَّمَه، قال: ويحتمل أَن يكون الأَمُّ أُقِيم مَقام المَأْمُوم أَي هو على طريق ينبغي أَن يُقْصد، وإِن كانت الرواية بضم الهمزة فإِنه يرجع إِلى أَصله)، وهو في مجمع الزوائد بلفظ (فنعم ما هو).

(٢) تحفة الأحوذي (٧ / ١٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٦٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

عز وجل: ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ ﴾ التوبة : ٤٦ ، وعاتب الله المؤمنين في التثاقل عن الواجب ، والفتور فيه ، فقال عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [التوبة:٣٨] الآية . والهرم : فُتُور من ضعف يحل بالإنسان ، فلا يكون به نهوض ، فَفُتور الهرم فُتور عَجْزٍ ، وفُتور الكسل فُتورُ تثبيطٍ وتأخيرٍ ، فاستعاذ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن الفتور في أداء الحقوق ، والقيام بواجب الحق من الوجهين جميعا ، من جهة عجز ضرورة،وحرمان منها مع الإمكان) . (١)

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال : قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: (إن للشيطان لَمّة بابن آدم و للمَلَك لَمّة ؛ فأمّا لَمّة الشيطان؛فإيعادٌ بالشر ، و تكذيبٌ بالحق، وأمّا لَمّة الملك؛ فإيعادٌ بالخير، وتصديقٌ بالحق، فمن وجد ذلك فليعلمْ أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ، ثم قال : ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾ [البقرة:٢٦٨] الآية). (٢)

ولكي يتجنب المسلم الإفراط والتفريط فعليه بالقصد ، وهو التوسط ، فلا يبالغ في فعل العبادة والطاعة ويشق على نفسه ؛ لئلا يمل فيترك ، ولا يتركها كسلا وتهاونا لئلا يستمرئ الترك فلا يرجع ، وكلا الأمرين ذميم ، ومن توسط في الأمر سلك طريق النجاة، ومن سلك الطريق وصل إلى ما يحبه الله ويرضاه .

---

(١) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي (١ / ٢٨٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٩٨٨) وقال حديث حسن غريب ، والنسائي في الكبرى (١١٠٥١)، وابن حبان (٢٧٨/٣) ، والبزار في مسنده كما في البحر الزخار ٤٤٤/٥، والبيهقي في شعب الإيمان (٤ / ١٢٠) .



عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لن يُنجيَ أحداً منكم عملُه) قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : (ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة ، سددوا وقاربوا ، واغْدُوا ، ورُوحوا ، وشيء من الدُّلْجة ، والقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا).(١)

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله : (سددوا) معناه : اقصدوا السداد؛ أي: الصواب، قوله (وقاربوا)؛ أي : لا تفرطوا (أي تشددوا) فتجهدوا أنفسكم في العبادة ، لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملال فتتركوا العمل فتفرطوا ؛أي تقصروا... قوله (والقصد القصد) أي : الزموا الطريق الوسط المعتدل ، واللفظ الثاني للتأكيد). (٢)

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الشيطان قد يأتي للإنسان الملتزم فيثبطه عن فعل الخير أو يدفعه لفعل الشر، ويُغريه بأن الله يغفر له وما أشبه ذلك، والواجب على الإنسان أن يُخلص القصدَ والنيةَ لله عز وجل... وهناك أسباب تجعل الشاب نشيطاً:

السبب الأول: أن يقصد وجه الله والدار الآخرة، فإنه كلما رأى الفتور على نفسه جدد العزيمة حتى يستمر على نشاطه.

السبب الثاني: أن يحرص على مصاحبة الإخوان الذين ينشطونه على طاعة الله؛ فإن الجليس الصالح كما وصفه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كحامل المسك: إما أن يُحْذيك، وإما أن تَبْتاعَ منه، وإما أنْ تجدَ منه رائحةً طيبةً)(٣).

السبب الثالث: ألا يكون عند الالتزام مندفعاً أكثر مما ينبغي؛ لأنه إذا اندفع

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٣) ، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) فتح الباري (١١/٢٩٧).

(٣) رواه البخاري (٢١٠١) ، ومسلم (٢٦٢٨) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

أكثر مما ينبغي وحمل نفسه ما لا يجب تعب وملَّ، ولكن إذا التزم بانتظام ومشى على ما تقتضيه الشريعة، فإن الغالب أنه لا يمل مع فعل بقية الأسباب.

السبب الرابع: ألا يتضجر تضجراً يصده عن طاعة الله مما يشاهده في مجتمعه، فإن الله عز وجل قال للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ [الكهف:٦] أي: مهلك نفسك على آثارهم، وقال: ﴿ **فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾ [الحجر:٩٤] ، فالإنسان إذا أصلح نفسه فيما بينه وبين ربه فلا يهلكَنَّ بفعل غيره؛ يدعو إلى الله، ويسأل الله لهم الهداية، ويعلم أنه ما من حسابهم عليه شيء ومن حسابه عليهم من شيء.

السبب الخامس: سؤال الله الثبات؛ فيسأل الله دائماً أن يثبته وأن يعينه). [1]

✵✵ إحسان الظن بالله حال النشاط :

وأما في حال النشاط ؛ فإحسان الظن بالله تعالى يحمل المسلم على ترك الغلو والتنطع والتشدد في الدين ، والاقتصاد في العمل والاقتصار على السنة، وهو الاقتصاد في السنة وعدم الزيادة عليها .

قال ابن القيم: (والسلف يذكرون هذين الأصلين كثيرا، وهما: الاقتصاد في الأعمال والاعتصام بالسنة؛ فإن الشيطان يَشمُّ قلبَ العبد ويختبره، فإن رأى فيه داعية للبدعة وإعراضا عن كمال الانقياد للسنة ؛أخرجه عن الاعتصام بها ، وإن رأى فيه حرصا على السنة وشدة طلب لها ؛لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها ،

---

(١) لقاء الباب المفتوح (٨ / ١٢).



فأمره بالاجتهاد والجور على النفس ومجاوزة حد الاقتصاد فيها قائلا له : إن هذا خير وطاعة والزيادة والاجتهاد فيها أكمل فلا تفتر مع أهل الفتور،ولا تنم مع أهل النوم ؛ فلا يزال يحثه ويحرضه حتى يخرجه عن الاقتصاد فيها فيخرج عن حدها، كما أن الأول خارج عن هذا الحد فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر .

وهذا حال الخوارج الذين يحقر أهل الاستقامة صلاتهم مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم وقراءتهم مع قراءتهم، وكلا الأمرين خروج عن السنة إلى البدعة لكن هذا إلى بدعة التفريط والإضاعة والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف .

وقال بعض السلف : ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان ؛إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة ، وهي الإفراط ولا يبالي بأيهما ظفر : زيادة أو نقصان ، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : (يا عبد الله بن عمرو إن لكل عامل شِرّةً ولكل شِرّةٍ فترةٌ، فمن كانت فَتْرتُه إلى سنة أفلح، ومن كانت فَتْرتُه إلى بدعة خاب وخسر) [١]، قال له ذلك حين أمره بالاقتصاد في العمل؛ فكل الخير في اجتهاد باقتصاد وإخلاص مقرون بالاتباع كما قال بعض الصحابة : اقتصادٌ في سبيلٍ وسنةٍ خيرٌ من اجتهادٍ في خلافِ سبيلٍ وسنةٍ...). [٢]

✵✵ علاقة إحسان الظن بالله بأركان الإيمان:

يرتبط إحسان الظن بالله تعالى بأركان الإيمان الستة من عدة اعتبارات فبالنظر للإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وألوهيته وربوبيته فحسن الظن مبني

(١) رواه أحمد في المسند (١٨٨/٢)وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٥١) وابن حبان (١٨٧/١) ، وصححه الألباني في ظلال الجنة في التعليق على السنة لابن أبي عاصم(٢٨/١).

(٢) مدارج السالكين (٢ / ١٠٧).

على ذلك كله ، ولا يتم حسن الظن بالله إلا بالإيمان بذلك فهو أصله وأساسه الذي ينبني عليه، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك (١).

وبالنظر إلى الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله فإن إحسان العبد ظنه بالله تعالى من آثار علمه بالشريعة التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله ، وحسن الظن لايتم إلا بالعلم بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعرفته بالإيمان بهما وتدبر معانيهما أهم أسباب القيام بحسن الظن، فلا سبيل لذلك إلا من طريق الوحي ؛ فصار حسن الظن متعلقا بالإيمان بالملائكة والكتب والرسل .

وبالنظر لليوم الآخر فإيمان العبد بالبعث والنشور والحساب والجزاء والثواب والعقاب والجنة والنار ؛ متعلقٌ بحسن الظن بالله في أن يعفو عنه ويدخله الجنة وينجيه من النار، ومن دعاء الأبرار : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران:١٩٤] وقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران:١٦]

وبالنظر إلى إيمان العبد بقضاء الله وقدره ورضاه عن الله تعالى ، وإحسانه الظن في أفعاله وتدبيره يظهر عظم تعلق حسن الظن بالإيمان بالقدر ، وما ضل الكفار والمنافقون ومن شابههم إلا لما أنكروا تقدير الله لما يحصل لهم أو لغيرهم أو أنكروا الحكمة في أفعاله سبحانه أو أساءوا الظن في أفعاله وصفاته كما قال تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ الأنعام: ٩١ ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٧٤] ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً

---

(١) ص١٢.

مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران:١٥٤] ، وهذا له تعلق بالقدر وله تعلق بالإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته .

ومما تقدم يتضح أن حسن الظن بالله متعلق بأركان الإيمان الستة كلها ، والله أعلم .

❀ ❀ ❀

○● المطلب الثالث : الوسائل المعينة على إحسان الظن بالله تعالى.

لا يتم إحسان الظن بالله تعالى إلا بالقيام بأسبابه ومقتضياته وأهمها :

١- قوة الإيمان بالله عز وجل بكمال التوحيد، وتحقيق الإخلاص لله تعالى في عبادته وحده لا شريك له ، والإيمان الصحيح بأسماء الله تعالى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة على طريقة الصحابة والسلف الصالح الذين هم خير القرون، بل والإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة مما يجب على العبد الإيمان به من أركان الإيمان وشرائع الإسلام ، ولهذا فأولياء الله تعالى يتوسلون إلى الله بإيمانهم، كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران:١٦] ، وموسى عليه السلام لما يعلمه من إحسان ربه وفضله قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ القصص: ٢٤ قال ابن تيمية: (فإن الطالبَ السائلَ تارةً يَسأَلُ بصيغة الطلب، وتارةً يَسأَلُ بصيغة الخبر؛ إما يوصف حاله وإما بوصف حال المسؤول وإما بوصف الحالين .... ومن ذلك قول موسى عليه السلام ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ القصص: ٢٤ فإن هذا وصف لحاله بأنه فقير إلى ما أنزل الله إليه من الخير، وهو متضمن لسؤال الله إنزال الخير إليه...) [١].

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٤٤).

٢- (قوة الاعتماد على الله والتوكل عليه سبحانه وتفويض الأمور إليه ، والثقة فيما عنده، فمَنْ قَوِيَ توكلُّه على الله، وأخذ بأسباب التوكل، وصدق مع الله؛ صار حَسَنَ الظنِّ بالله ؛ فمبنى حُسنِ الظنِّ على العلم برحمة الله وعزته وإحسانه وقدرته وعلمه وحسن اختياره ، وقوة المتوكل عليه فإذا تم العلم بذلك أثمر له حسن الظن بالله).(١)

وقد ينشأ حسن الظن من قوة الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته واستحضار معانيها ، وبالجملة فمن قام بقلبه حقائق معاني أسماء الله وصفاته قام به من حسن الظن ما يناسب كل اسم وصفة لأن كل صفة لها عبودية خاصة وحسن ظن خاص ...

وفي مقابل ذلك فإن الشرك بالله وتعطيل أسماءه وصفاته مبني على سوء الظن بالله جل وعلا . (٢)

٣- الاجتهاد في العمل الصالح والسعي في تحقيق ما يرضي الله تعالى ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة:٢١٨] ؛ فجعل أهل الرجاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيله وهذه أجل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى ،ومن قام بها تحقق له حسن الظن بالله تعالى .

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١ / ٦٠٥).

(٢) انظر إغاثة اللهفان (٦٢/١).

٤- تدبر النصوص الواردة في سعة رحمة الله وفضله وكرمه يورث للعبد حسن الظن بمولاه ، قال النووي رحمه الله: (ويتدبر الآيات والأحاديث الواردة في كرم الله سبحانه وتعالى وعفوه ورحمته وما وعد به أهل التوحيد وما ينشره من الرحمة لهم يوم القيامة) . [١]

وروى ابن أبي الدنيا عن إبراهيم قال: (كانوا يستحبون أن يُلَقِّنوا العبدَ محاسن عمله عند موته، لكي يُحسنَ ظنَّه بربه عز وجل)[٢].

وتقدم ما نقله الصنعاني عن بعض أئمة العلم أنه قال: إنه يحسن جمع أربعين حديثاً في الرجاء تُقرأُ على المريض فيشتدُّ حُسْنُ ظنه بالله تعالى. [٣]

٥- دعاء الله تعالى وسؤاله أن يوفقه لحسن الظن به والتوكل عليه ، وكان سعيد بن جبير رحمه الله يقول : اللَّهُمَّ إني أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك. [٤]

٦- الإقلاع عن الذنوب والمعاصي والتوبة النصوح منها ، ومحاسبة النفس على أفعالها ، ومراقبتها على تصرفاتها .

٧- تطهير النفس وتزكيتها وتنقيتها من الأخلاق الرديئة والصفات الذميمة،وأصل الأخلاق السيئة:الظلم والجهل،كما قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢].

(١) المجموع شرح المهذب (٥ / ١٠٨) وانظر منح الجليل (٣ /١١٢).
(٢) تقدم ص(٣٨) .
(٣) سبل السلام (٢ / ٩٠).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٣ / ٥٣٨) رقم(٣٥٣٤٣) ، حلية الأولياء (٢٧٤/٤)، سير أعلام النبلاء (٣٢٥/٤).jjj



٨- الحذر من الأمن من مكر الله والاغترار به؛ فإن العبد إذا خاف من ذلك حمله على الجد والاجتهاد ثم حسن الظن بالله سبحانه .

٩- النظر في سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرة الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ والتابعين لهم بإحسان ، وسير أئمة الدين والعلم في هذه الأمة ، والتفكر في كيفية الاقتداء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهذا يورث للعبد علو الهمة وحسن الظن بالله تعالى .

○● المطلب الرابع : آثار إحسان الظن بالله على حياة المسلم.

لإحسان الظن بالله آثار جميلة وثمرات جليلة على الفرد وعلى المجتمع المسلم ؛ فمنها:

◈ أن حسن الظن بالله والثقة به واليقين بخبره ووعده يحمل الإنسان على الصبر، والتحمل، والأمل، والرجاء ، وهذا من أجل آثار حسن الظن ،ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما من مرض يصيبنى أحبُّ إليّ من الحمّى؛ لأنها تدخل في كل عضو مني ، وإن الله عز و جل يعطي كل عضو قسطه من الأجر) [١] ، بل إن المحن والمصائب تنقلب في نفسه إلى منح ونعم وهبات يحمد الله عليها، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن صهيب الرومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خيرٌ،وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر؛فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر ؛ فكان خيراً له) [٢].

◈ قوة العزم في مسألة الله تعالى والإلحاح في الدعاء وطلب الحاجات منه سبحانه، وفي حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إذا دعوتم الله فاعزموا في الدعاء، ولا يقولن أحدكم إن شئت فأعطني ؛ فإن الله لا مستكره له). [٣]

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٠٣) وصحح سنده ابن حجر في فتح الباري (١١٠/١٠) وقال : (ومثل هذا لا يقوله أبو هريرة برأيه).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

(٣) رواه البخاري (٧٤٦٤)،ومسلم بنحوه (٤٨٣٧).



◈ الاجتهاد في الطاعات فإنّ حَسَنَ الظنِّ بالله يسوقه حادي الرجاء للعمل الجاد المتواصل الدائم ، ومن الأمثلة الجميلة لهذا ما ثبت عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن سراقة بن جعشم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،قال يا رسول الله: أخبرنا عن أمرنا كأنا ننظر إليه؛أبما جرت به الأقلام وثبتت به المقادير أو بما يستأنف؟ قال:(لا بل بما جرت به الأقلام، وثبتت به المقادير) قال: ففيم العمل إذاً ؟ قال: (اعملوا فكلٌّ مُيَسّر)، قال سراقة: فلا أكون أبداً أشد اجتهاداً في العمل مني الآن . (١)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يا رسول الله نعمل في شيء نأتنفه أم في شيء قد فرغ منه؟ قال:(بل في شيء قد فرغ منه) قال: ففيم العمل؟ قال:(يا عمر لا يدرك ذاك إلا بالعمل) قال: إذاً نجتهد يا رسول الله ، وفي رواية قال: قال فالآن نَجِدُّ ، الآن نَجِدُّ ، الآن نَجِدُّ. (٢)

فصار إيمان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالقدر وحسن ظنهم بالله تعالى في قضاءه وتقديره مثمراً شدة الاجتهاد في طاعة الله تعالى .

وقد قال بعض الحكماء : (ومن علامة حسن الظن بالله شدة الاجتهاد في طاعة الله) (٣)

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٢٩٢) وابن حبان في صحيحه برقم(٣٣٧) وأصله في مسلم (٢٦٤٨).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (١٠٨)وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٦١ - ١٦٧)وصححه الألباني في ظلال الجنة في التعليق على السنة لابن أبي عاصم (١/٧١-٧٣) .

(٣) انظر : آداب النفوس للمحاسبي ص١٥٠.

◈ زيادة اليقين والطمأنينة بما يراه العبد من آثار حسن الظن بالله في نفسه ومن حوله ؛ كما قال الشاعر :

وإنّي لأرجو الله حتّى كأنّني ★★★ أرى بجميل الظنّ ما الله صانع.[1]

وكان بعض الناس يطيل التعجب من هذا الشعر، ويَحْكُمُ بإحسان قائله، يريد الدعاء لله تعالى، وقيل: يصف دعوة مظلوم.

◈ كمال الرّضا بقضاء الله وقدره، قال تعالى :﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن:١١]، ويورث في القلب الرضا بالقضاء ، والصبر على البلاء، والقناعة بما قسم الله للعبد ، فيبتعد عن قلبه الغل والحسد والشره والطمع ، بل يكون قلبه سليما ، ونفسه طاهرة ، وهذا من أسباب حصول الألفة والمحبّة بين النّاس ، والتعاون بين أفراد المجتمع المسلم .

◈ ومن أعظم آثار إحسان الظن وثمراته أنه هو الطريق الموصل إلى محبّة الله ورضوانه، وهو الطريق الموصل إلى الجنة .

◈ ومن أهم ثمرات إحسان الظن بالله أنه سبب عظيم لحسن الخاتمة للمسلم ولهذا جرى التأكيد في الحديث النبوي على ألا يموت المسلم إلا وهو يحسن الظن بالله ، وذلك لما له من الأثر العظيم في حسن الخاتمة ؛

---

(١) نسبه لمسكين الدارمي في (الفرج بعد الشدة) للتنوخي ص ٣٦٣ ، ونسبه المبرد في الكامل لمحمد ابن وهيب الحميري (٦/٢)وانظر البصائر والذخائر(١ / ١٩٧)،وعيون الأخبار لابن قتيبة (٣١٠/٢).



ولأحد الشعراء أبيات جميلة: [١]

إلَـهي لا تُعَذّبْـني ، فَإنّـي *** مُـقِرٌّ بالّذي قَـدْ كـانَ مِنّي

وَمَـا لي حَيلَـةٌ إلاّ رَجـائي *** وعفـوُك إنْ عفـوتَ وحسـنُ ظنّي

فكَـمْ مـن زَلّـةٍ لي في البَرايَـا *** وأنـت علـيّ ذو فضـلٍ ومنِّ

إذا فَكّـرْتُ في نَـدَمي عَلَيهـا *** عضضتُ أنامـلي وقرعتُ سنّي

يظـنُّ النـاس بي خـيراً وإني *** لـشر النـاس إن لـم تعفو عنّي

أجـنُّ بزهـرة الدنيـا جنـوناً *** وأفـني العمـر فيهـا بالتمنّي

وبـين يـدي محتبـس ثقيـل *** كأني قد دعيـت لـه كأنّي

فلـو أني صدقـتُ الزهـد فيهـا *** قلبْـتُ لأهلهـا ظَـهْرَ المجنّ

◈ ومن ثمرات حسن الظن بالله :الإنفاق والجود والكرم والسلامة من شح النفس ، والإيثار ، وهو دليل على سخاء النّفس وارتقائها ، ولهذا مشاهد عظيمة يدركها المسلم عندما ينفق في سبيل الله ويتصدق ، فيستحق الدعوة التي يدعو بها الملكان (اللّهُمَّ أعط منفقا خلفا)[٢]، وينشرح بذلك صدره ، ومن أمثلتها ما يحس به المسلم عندما يذبح أضحيته أو هديه تقربا إلى الله تعالى فإنه يقوم به من تعلق القلب بالله والرغبة فيما عنده ، والثقة به وبفضله و بحسن ثوابه ما لا يخطر على البال ، ويحصل له من التخلص من الشح والبخل في هذا المقام ما تزكو به نفسه.

◈ ومما يتبع ذلك الشجاعة والإقدام والجود بالنفس في سبيل الله تعالى ثقة بوعده وفضله وكرمه .

---

(١) ديوان أبي العتاهية ص٤٢٥ وذُكر أنه آخر شعر قاله في مرضه الذي مات فيه .

(٢) جاء ذلك في حديث رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ابن القيم: (والجبن خلق مذموم عند جميع الخلق وأهل الجبن هم أهل سوء الظن بالله وأهل الشجاعة والجود هو أهل حسن الظن بالله، كما قال بعض الحكماء في وصيته:عليكم بأهل السخاء والشجاعة؛فإنهم أهل حسن الظن بالله، والشجاعة جُنّةٌ للرجل من المكاره ، والجبن إعانة منه لعدوه على نفسه).(١)

◈ ومن آثار إحسان الظن بالله : النشاط في الدعوة إلى الله والنصيحة لعباد الله وتعليم الناس الخير ، وعدم الفتور في ذلك ؛ حتى لو رأى الإعراض والصدود فله بخير الخلق أنبياء الله تعالى ورسله الأسوة الحسنة ، كما في قصة نوح وغيره من الأنبياء، وفي مواقف سيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى جميع أنبياء الله ورسله وسلم عليهم أجمعين العبر لكل معتبر ، والعظات لكل داعٍ إلى الله تعالى .

ويمكن أن نأخذ مثالا واحدا في هذا المقام في قصة هداية عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإسلامه ، فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون في مكة أول الإسلام يجدون منه الأذى والشدة عليهم ؛ ثم شرح الله صدره للإسلام وصار من خيار المسلمين ؛ بل في صحيح البخاري عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب(٢)، وقال ابن حجر: (أي لما كان فيه مِنَ الجَلِدَ والقوةِ في أمر الله، وروى بن أبي شيبة والطبراني من طريق القاسم بن عبد الرحمن؛ قال: قال عبد الله بن مسعود: كان إسلام عمر عزاً، وهجرته نصراً، وإمارته رحمةً، والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر) . (٣)

ومما يؤيد هذا المعنى الحديث المشهور في صحيح البخاري ومسلم عن عمير بن هانئ أنه قال: سمعت معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الفروسية ص٤٩١ .
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٦٨٤) .
(٣) فتح الباري (٧ / ٤٨).

يقول : (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس) [١]. فالطائفة المنصورة جعلنا الله منهم قائمون بأمر الله، مع وجود من يخالفهم ، ومع وجود من يخذلهم ، ولا يفت ذلك في عزيمتهم ، ولا ينقص من همتهم وقيامهم بدين الله .

◈ ومن آثار إحسان الظن بالله التفاؤل وتوقع الخير من الله تعالى ، وقد كان نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يحب الفأل[٢]، ويدخل في ذلك التفاؤل بنصرة الدين وانتشاره، وهداية الضال والعاصي، والصبر على المعاند، والشفاء من المرض ، ووجدان المفقود، والخروج من الضائقة ، وقضاء الدين ، وتفريج الكربات، وزوال الهم والغم .

ولهذا صار الفأل ممدوحا ومحمودا والشؤم مذموما، فالفأل ممدوح من جهة أنه فيه تحسين الظن بالرب جل وعلا، وكل ذلك من تعظيم الله جل وعلا وحسن الظن به وتعلق القلب به وأنه لا يفعل للعبد إلا ما هو أصلح له

◈ ومن ثمرات حسن الظن بالله :البعد عن المعاصي والسيئات ، والسلامة من الأخلاق الرذيلة، والاستمرار في تطهير النفس من الأخلاق السيئة وتكميلها بالأخلاق الجميلة.

وبعد : فهذه بعض آثار حسن الظن بالله ، وبالجملة فحسن الظن بالله مفتاح كل خير، وإضاعته مفتاح كل شر ، والله الموفق .

---

(١) رواه البخاري (٣٦٤٠)،ومسلم (٣٥٤٨).

(٢) رواه البخاري (٥٧٥٥ ، ٥٧٥٦) ومسلم (٢٢٢٣ ، ٢٢٢٤) من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ .

المبحث الثاني :

حكم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى وأسبابه وآثاره،

وفيه:

- **المطلب الأول** : حكم اليأس والقنوط .
- **المطلب الثاني** : الأدلة على التحذير من اليأس والقنوط .
- **المطلب الثالث** : الأسباب المؤدية لليأس والقنوط وسبل علاجها .
- **المطلب الرابع** : الآثار المترتبة على اليأس والقنوط.



○● المطلب الأول : حكم اليأس والقنوط .

إن اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله تعالى من أكبر الكبائر ، ومن أعظم المحرمات في الشريعة ، والقنوط استبعاد الفرَج، واليأس منه ، ومن أمثلة الإياس من رحمة الله : الإياس من الرزق أو نحوه كالولد ، أو وجود المفقود ، أو يأس المريض من العافية ، أو يأس المذنب من المغفرة .

قال القرطبي في بيانه أكبر الكبائر : (والذي أقول: إنه قد جاءت فيها أحاديث كثيرة صحاح وحسان لم يقصد بها الحصر، ولكن بعضها أكبر من بعض بالنسبة إلى ما يكثر ضرره، فالشرك أكبر ذلك كله، وهو الذي لا يُغفر لنصِّ الله تعالى على ذلك، وبَعْدَه اليأسُ من رحمة الله؛ لأن فيه تكذيب القرآن؛ إذ يقول وقوله الحق: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٥٦] ، وهو يقول: لا يغفر له؛ فقد حجر واسعا. هذا إذا كان معتقدا لذلك؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧]. وبعده القنوط؛ قال الله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦] ...) . [١]

واليأس والقنوط من صفات الكفار والضالين كما سيأتي في الآيات الكريمة، وقد أجمع علماء الإسلام على تحريم هذين الخلقين الذميمين والتحذير منهما .

بل يقول ابن القيم رحمه الله إن تحريم هذه أشد من تحريم الزنا وشرب الخمر ، وغيرهما من الكبائر الظاهرة . [٢]

---

(١) تفسير القرطبي (٥ / ١٦٠) ، وانظر تفسير ابن المنذر (٦٧٢/٢) ، الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢٢٩/١).
(٢) مدارج السالكين (١١٣/١).

وقال ابن حجر الهيتمي :(**تنبيه** : عَدُّ هذا كبيرةً هو ما أطبقوا عليه وهو ظاهر، لما فيه من الوعيد الشديد الذي علمتَه مما ذُكر ، بل في الحديث الذي مر آنفا التصريح بأنه من الكبائر ، بل جاء عن ابن مسعود أنه أكبر الكبائر) . [١]

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ص٢٢٨ ، وانظر فتح الباري (١٨٣/١٢)، الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمي (ص ٢٢٩،١٦).



○● المطلب الثاني: الأدلة على التحذير من اليأس والقنوط.

الأدلة من القرآن:

١- قوله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦]

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَمَن يَقْنَطُ ﴾... أي: من ييئس ﴿ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ أي: الخاسرون، والقنوط من رحمة الله كبيرة، كالأمن من مكره). (١)

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

قال ابن جرير الطبري: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٧]، يقول: ولا تقنطوا من أن يُرَوِّحَ اللهُ عنّا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفرج من عنده، فيرينيهما ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ يقول: لا يقنط من فرجه ورحمته ويقطع رجاءه منه ﴿ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾، يعني: القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه). (٢)

٣- قوله تعالى ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥]، قال البغوي: (قال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني: الإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى، قال أبو قلابة: هو الرجل يصيب الذنب فيقول: قد هلكت ليس لي توبة؛ فييأس من رحمة الله، وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]). (٣)

---

(١) تفسير البغوي (٤ / ٣٨٥).
(٢) تفسير الطبري (١٦ / ٢٣٢).
(٣) تفسير البغوي (١ /٢١٥، ٢١٧).

٤-قوله تعالى : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

هـذه الآيـة الكريمـة اشـتملت على النهي عن اليأس مـن مغفرة الذنـوب ؛ فإن الله تعـالى لا يتعاظمـه ذنـب أن يغفـره ، فرحمته وسـعت كل شيء . ومن أجل ذلك فالإنابـة إلى الله تعـالى مطلوبة ، وباب التوبة إليه من الذنـوب جميعا مفتوح للعبد ما لم يغرغر.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (يخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه، ويحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال: ﴿ قُلْ ﴾ يا أيها الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين الله، مخبراً للعباد عن ربهم: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علام الغيوب.

﴿ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعا من الشرك، والقتل، والزنا، والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار. ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أي: وصفه المغفرة والرحمة، وصفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، مالئة للموجود، تسحُّ يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب



وغلبته؛ ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسبابٌ إن لم يأتِ بها العبدُ، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها، بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجل، والطريق الأعظم). [1]

٥- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الروم: ٣٦ - ٣٧]. فهذا فيه النهي عن القنوط بسبب الفقر والحاجة أو حلول المصيبة. [2]

قال البغوي: (﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ ﴾ أي: الخصب وكثرة المطر، ﴿ فَرِحُواْ بِهَاۖ ﴾ يعني فرح البطر ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ ﴾ أي: الجَدْبُ وقلة المطر ويقال: الخوف والبلاء ﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ السيئات، ﴿ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾ ييأسون من رحمة الله، وهذا خلاف وصف المؤمن، فإنه يشكر الله عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدة). [3]

٦-ومن السنة المطهرة النهي عن اليأس من الرزق فعن حَبّةَ وسَوَاءِ ابني خالد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، قالا: دخلنا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وهو يعالج شيئا فأعنّاه عليه، فقال: (لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رءوسكما، فإن الإنسان تلده أمه ليس عليه قشرة، ثم يرزقه الله عز وجل). [4]

(١) تفسير السعدي (ص٧٢٧).
(٢) تفسير ابن أبي زمنين (٢ / ٣٠).
(٣) تفسير البغوي (٦ / ٢٧٢).
(٤) أخرجه أحمد (٤٦٩/٣) وابن ماجه (٤١٦٥) وابن حبان (٣٤/٨) والطبراني في الكبير (٧/٤) وقال البوصيري: إسناده صحيح.

٧-عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال حين حضرته الوفاة قد كنت كتمت منكم شيئاً سمعته من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (لولا أنكم تذنبون لخلق الله عز وجل قوماً يذنبون فيغفر لهم)[١].

٨-عن عمرو بن عنبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيخ كبير يدعم على عصا له فقال: يا رسول الله لي غَدَرات وفَجرات فهل يغفر لي؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ألست تشهد أن لا إله إلا الله ؟) قال: بلى، وأشهد أنك رسول الله؛ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قد غفر لك غدراتك وفجراتك)[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٨٥/٤).



○● المطلب الثالث : الأسباب المؤدية لليأس والقنوط وسبل علاجها :

١-الجهل بالله تعالى وبأسمائه وصفاته ، والجهل بدينه وشرعه ، فيعتقد بجهله أن الله لا يغفر له ولا يرحمه إذا ارتكب ذنبا أو معصية أو أنه إذا كثرت ذنوبه يظن أن الله لا يغفرها لكثرتها ، أو يظن أن الله لا يقبل توبته لو تاب وأناب؛ فهذا من العقائد الفاسدة التي أبطلها الشرع المطهر، وهي من أعظم أسباب اليأس والقنوط.

٢-الإسراف في المعاصي والإصرار عليها حتى يكون ذلك خُلُقاً لازما له ، ويصعب عليه تغيير ما اعتاده ، ثم يحمله ذلك الإلف والعادة على اليأس من رحمة الله والعياذ بالله .

٣-الغلو في الخوف من الله تعالى ، حتى يصل إلى وصف الله تعالى بما لا يليق به من أنه لا يغفر ذنبه ، وقد يكون ذلك سببه الوسوسة التي يلقيها الشيطان في قلب العبد ، ولهذا أمر الله بالاستعاذة من شر الوسواس الخناس .

٤-اغترار العبد المنحرف عن الصراط المستقيم بنفسه وبدينه واعتقاده أنه قائم بما يجب عليه وتارك ما نهى عنه مع أنه ليس كذلك، ثم اعتقاده أن الله سبحانه وتعالى قد لا يؤيد صاحب الدين الحق وينصره، وقد لا يجعل له العاقبة في الدنيا بوجه من الوجوه، وإذا رأى كثرة المحن مع غفلته عن الأسرار والحكم في هذه المحن فيُصاب حينئذ بالانهزام النفسي ...

وأصل ذلك ناشىء من جهلين كبيرين : جهل بحقيقة الدين وجهل بحقيقة النعيم ...فيتولد من بين هذين الجهلين إعراضه عن القيام بحقيقة الدين وعن طلب حقيقة النعيم وسوء ظنه بالله تعالى [١].

٥-مصاحبة اليائسين والقانطين ومن أساؤوا الظن بالله تعالى ، فهذه الصحبة والمجالسة توجب للعبد مشابهتهم في ذلك ، ومن أمثلة ذلك : المجتمعون على النياحة نساءً ورجالاً؛ فإن النائحة ومن حولها من الحاضرين لهذا الأمر المحرم ؛ تؤدي بهم النياحة على الميت إلى تعذيب نفوسهم،وشق جيوبهم، وضرب خدودهم، وقلة صبرهم وضجرهم، وهذا يحملهم على القنوط من رحمة الله ؛ لأن النوح بتعداد ذكر محاسن الميت مثل (أن تقول النائحة لفظاً يقتضي فرط جمال الميت وحسنه وكمال شجاعته وبراعته وأبهته ورئاسته، وتبالغ فيما كان يفعل من إكرام الضيف والضرب بالسيف والذب عن الحريم والجار إلى غير ذلك من صفات الميت التي يقتضي مثلها أن لا يموت، فإنّ بموته تنقطع هذه المصالح، ويعز وجود مثل الموصوف بهذه الصفات، ويعظم التفجع على فقد مثله، وأن الحكمة كانت بقاءه وتطويل عمره لتكثر تلك المصالح في العالم!!).[٢]

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (١٧٩/٢).

(٢) الفروق للقرافي (١٧٢/٢).



○● المطلب الرابع : الآثار المترتبة على اليأس والقنوط.

١-الوقوع في الكفر أو في الضلال ؛ فإن القنوط يحمله على قطع الرجاء برحمة الله وهو إنكار لرحمة الله الواسعة وتكذيب للنصوص الواردة في ذلك ، وكذلك هو إنكار للتوبة ، وما أخبر الله به من أنه يتوب على التائبين ويعفو عن عباده ويغفر السيئات، وإنكار هذا من الكفر المخرج عن الملة لأنه تكذيب لما أخبر الله به في القرآن . قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٣] وقال : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

وقد يحمله قنوطه ويأسه على ترك الدين بالكلية والعياذ بالله،لكن قد لا يُكَفّرُ المعيَّنُ من المسلمين في مثل هذه الحالات لكون الحامل له على ذلك غلبة الجهل ، أو شدة الالتباس ، أو شدة المرض أو غير ذلك من الأعذار المانعة من التكفير .

قال السعدي : (يخبر تعالى من هم الذين زال عنهم الخير، وحصل لهم الشر، وأنهم الذين كفروا به وبرسله، وبما جاءوهم به، وكذبوا بلقاء الله، فليس عندهم إلا الدنيا، فلذلك قدموا على ما أقدموا عليه من الشرك والمعاصي، لأنه ليس في قلوبهم ما يخوفهم من عاقبة ذلك، ولهذا قال تعالى: : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى ﴾ [العنكبوت: ٢٣] أي: فلذلك لم يعلموا سببا واحدا يحصلون به الرحمة، وإلا لو طمعوا في رحمته، لعملوا لذلك أعمالا والإياس من رحمة الله من أعظم المحاذير،

وهو نوعان: إياس الكفار منها، وتركهم جميع سبب يقربهم منها، وإياس العصاة، بسبب كثرة جناياتهم أوحشتهم، فملكت قلوبهم، فأحدث لها الإياس) [(١)].

والمقصود أن اليأس والقنوط خطرهما يشمل الدين والدنيا فإذا سيطرا على قلبه وجوارحه استوجب الهلاك والخسارة الدينية والدنيوية ، وإذا أحاطا به تسلطت عليه الأعداء من شياطين الإنس والجن .

٢-اليأس والقنوط إساءةٌ للظن بالله تعالى ؛ لأنه ظَنَّ بالله ما ينافي كماله المقدس، فطَعَنَ في قدرة الله على رحمته ومغفرة ذنوبه ، وطَعَنَ في كرم الله وجوده ورحمته .

٣-أن القنوط يحمل على ترك العمل الصالح بل ترك كل عمل نافع مفيد، ويكون اليائس القانط من رحمة الله منطويا على نفسه مهملا وتاركا لما فيه سعادته وفلاحه، بل ويحمله على الوقوع في المعاصي والانهماك فيها لأنه قد قطع باب التوبة والرجاء والعياذ بالله .

٤-الشعور بالإحباط والنقص ، وركوب الهم والغم والحسرة والندامة ، والعيش بكسل وعجز ، وكثرة الحزن ، والخوف من كل شيء حتى يكون جبانا ، فهو يعيش بغير قيمة ولا فائدة في حد تصوره .

٥-أن يكون أعضاء المجتمع المسلم غير مثمرين ولا منتجين ، وليس عندهم قدرة على مواجهة الأعداء .

---

(١) تفسير السعدي ص ٦٢٩ .



٦-ومن آثار اليأس والقنوط أن اتصاف العبد بهما دليل على خروجه عن منهج أهل السنة والجماعة وشذوذه عنهم ، واتباعه للهوى والشيطان والنفس الأمارة بالسوء.



قصص في حسن الظن واليأس والقنوط ، وفيه :

- **المطلب الأول**: نماذج من قصص أقوام أحسنوا الظن بالله تعالى .
- **المطلب الثاني** : نماذج من قصص اليائسين والقانطين .



○● المطلب الأول: نماذج من قصص أقوام أحسنوا الظن بالله تعالى :

القصص في هذا باب واسع لا حصر له، وقد ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة الكثير من قصص أنبياء الله تعالى والصالحين من عباد الله ممن قوي حسن ظنهم بالله تعالى، والعاقبة الحميدة التي حصلت لهم في الدنيا والآخرة، كما قص الله علينا من حال نبي الله إبراهيم ونوح ولوط وخبر يعقوب وابنه يوسف ، وما قصه الله تعالى من خبر أيوب ويونس وغيرهم من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن أعظم ما ورد في هذا الباب حال نبينا وإمامنا وقدوتنا محمد بن عبدالله سيد ولد آدم وإمام الأنبياء والرسل صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ فإن ما قام بقلبه من حسن الظن بالله تعالى والثقة بوعده والتوكل عليه ما لم يقم بأحد من الخلق، وسيرته العطرة شاهدة بذلك في كل ما ورد عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وهكذا ما جاء عن الصحابة الكرام رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ فإنهم أقوم هذه الأمة بدين الله تعالى، ومن جاء بعدهم من التابعين وأتباعهم بإحسان، ولكن سأورد شيئا يسيرا من الأخبار ما يحصل به العبرة والذكرى:

١-قصة فيها عبرة لمن يدعو إلى الله تعالى :

عن أبي هريرة - رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ - قال : «كنت أدعو أمي إلى الإسلام ، وهي مشركة، فدعوتها يوما ، فأسمعتني في رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ما أكره ، فأتيت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أبكي، فقلت: يا رسول الله ، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام ، فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله تعالى أن يهدي أم

أبي هريرة ، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللّٰهُمَّ اهد أم أبي هريرة) ، فخرجت مستبشرا بدعوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما جئت فصرت إلى الباب وقربت منه ، فإذا هو مجاف ، فسمعت أمي خشف قدمي ، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء ، فاغتسلت ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ، ثم قالت: يا أبا هريرة ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، قال : فرجعت إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأتيته وأنا أبكي من الفرح،فقلت:يا رسول الله،أبشر فقد استجاب الله دعوتك،وهدى أم أبي هريرة،فحمد الله وقال خيرا،قال :فقلت:يا رسول الله،ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ، ويحببهم إلينا، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللّٰهُمَّ حبب عبيدك هذا -يعني أبا هريرة-وأمه إلى عبادك المؤمنين،وحبب إليهما المؤمنين)، فما خلق من مؤمن يسمع بي ، ولا يراني إلا أحبني». (١)

٢-قصة الثلاثة الذين أُطبقت عليهم الصخرة في الغار فإنهم أحسنوا الظن بالله فدعوه بصالح أعمالهم مخلصين له فنجاهم:

عن عبد الله بن عمر - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا - : قال : سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار ، فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدّتْ عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، قال رجل منهم : اللّٰهُمَّ كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أَغْبِقُ قبلهما أهلا ولا مالا ، فنأى بي طلب شجر يوما، فلم

(١) أخرجه مسلم (٤٥٤٦).



أَرُحْ عليهما حتى ناما، فحلبت لها غَبوقَهما ، فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أَغْبِقَ قبلهما أهلا أو مالا ، فلبثتُ والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما ، حتى برق الفجر-زاد بعض الرواة : والصبية يتضاغون عند قدميّ - فاستيقظا ، فشربا غَبوقَهما ، اللّٰهُمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج).

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قال الآخر : اللّٰهُمَّ كانت لي ابنة عم ، كانت أحبَّ الناس إليّ، فأردتُها على نفسها، وامتنعتْ منّي، حتى أَلَمَّتْ بها سَنةٌ من السنين ، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تُخَلِّي بيني وبين نفسها ، ففعلتْ ، حتى إذا قدرتُ عليها ، قالت: لا أُحل لك أن تفضَّ الخاتم إلا بحقه ، فتحرّجتُ من الوقوع عليها، فانصرفتُ عنها وهي أحب الناس إلي ، وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللّٰهُمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها).

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وقال الثالث : اللّٰهُمَّ استأجرت أجراء ، وأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد ، ترك الذي له وذهب، فثَمَّرْتُ أجرَه حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين ، فقال: يا عبد الله ، أدِّ إليَّ أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك ، من الإبل والبقر، والغنم، والرقيق، فقال: يا عبد الله ، لا تستهزئ بي، فقلت : إني لا أستهزئ بك ، فأخذه كله ، فاستاقه ، فلم يترك منه شيئا، اللّٰهُمَّ فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون)[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٥) ، ومسلم (٢٧٤٣).

٣-وهذه قصة ذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستفاد منها وجوب التوكل على الله وحسن الظن به في قضاء الدين :

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدا، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلا، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أَجّلَه، فلم يجد مركبا؛ فأخذ خشبة فنَقَرَها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجّج موضعها ثم أتى بها إلى البحر؛ فقال: اللَّهُمَّ إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألني كفيلا فقلت: كفى بالله كفيلا فرضي بك، وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيدا فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبا فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار، فقال: والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قَبْلَ الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلي بشيء، قال: أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدّى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالألف الدينار راشدا) .[١]

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٨، ٢٢٩١).



٤- وهذه قصة تفيد المسلم فائدة التوكل على الله في طلب الرزق مع الأخذ بالأسباب والبحث عنه ، وأن ذلك لا محالة باب من أبواب الرزق ،وهي في مسند الإمام أحمد ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال :(بَيْنَمَا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ لَهُ فِي السَّلَفِ الْخَالِي لا يَقْدِرَانِ عَلَى شَيْءٍ ، فَجَاءَ الرَّجُلُ مِنْ سَفَرِهِ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ جَائِعًا قَدْ أَصَابَتْهُ مَسْغَبَةٌ شَدِيدَةٌ فَقَالَ لامْرَأَتِهِ : أَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ : نَعَمْ أَبْشِرْ ؛ أَتَاكَ رِزْقُ اللهِ ، فَاسْتَحَثَّهَا ؛فَقَالَ وَيْحَكِ ،ابْتَغِي إِنْ كَانَ عِنْدَكِ شَيْءٌ ! قَالَتْ : نَعَمْ هُنَيَّةً نَرْجُو رَحْمَةَ اللهِ ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيْهِ الطَّوَى ؛قَالَ : وَيْحَكِ قُومِي فَابْتَغِي إِنْ كَانَ عِنْدَكِ خُبْزٌ فَأْتِينِي بِهِ فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ وَجَهِدْتُ ،فَقَالَتْ : نَعَمْ الآنَ يَنْضَجُ التَّنُّورُ فَلا تَعْجَلْ ، فَلَمَّا أَنْ سَكَتَ عَنْهَا سَاعَةً وَتَحَيَّنَتْ أَيْضًا أَنْ يَقُولَ لَهَا، قَالَتْ هِيَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهَا لَوْ قُمْتُ فَنَظَرْتُ إِلَى تَنُّورِي ، فَقَامَتْ فَوَجَدَتْ تَنُّورَهَا مَلآنَ جُنُوبَ الْغَنَمِ!! وَرَحْيَيْهَا تَطْحَنَانِ، فَقَامَتْ إِلَى الرَّحَى فَنَفَضَتْهَا وَأَخْرَجَتْ مَا فِي تَنُّورِهَا مِنْ جُنُوبِ الْغَنَمِ ،قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ عَنْ قَوْلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ أَخَذَتْ مَا فِي رَحْيَيْهَا وَلَمْ تَنْفُضْهَا لَطَحَنَتْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. [١]

٥- ومن القصص المبينة لوجوب إحسان الظن بالله وحسن عاقبته ما ثبت عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا،فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ؛ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ،فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَةٍ؟فَقَالَ: لاَ. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً! ثُمَّ

---

(١) أخرجه أحمد(٢/٤٢١ ، ٥١٣) والطبراني في " الأوسط " (٢ / ٤١ / ٢) و البيهقي في " الدلائل " (٦ /١٠٥) وانظر مجمع الزوائد (٢٥٧/١٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه أحمد والبزار ورواه الطبراني في الأوسط بنحوه ورجالهم رجال الصحيح غير شيخ البزار وشيخ الطبراني وهما ثقتان)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٣٧)، وجنوب الغنم جمع جنب ،والمعنى أنه كان في التنور جنوب كثيرة لا جنب واحد .



سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ،فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ،فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟فَقَالَ:نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ،انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ،وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ؛ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ! فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ)، وذكر أنه نأى بصدره عند الموت وأن الله تبارك وتعالى أمر البلدة الخيرة أن تقترب، وأمر تلك البلدة أن تتباعد. (١)

٦-ما وقع لبلال بن رباح رضي الله عنه حين حضرته الوفاة :

قال سعيد بن عبد العزيز: لما احتضر بلال قال: غداً نلقى الأحبة : محمداً وحزبه، قال: تقول امرأته: واويلاه ! فقال: وافرحاه !. (٢)

٧-وهذه قصة وقعت لأحد الصالحين أوردها الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة إبراهيم بن إسحاق الحربي : (قال أبو الحسين بن سمعون: حدثنا أحمد بن سليمان القطيعي قال: أضقت إضاقة، فأتيت إبراهيم الحربي لأبثه ، فقال لي: لا يضيق صدرك، فإن الله من وراء المعونة، فإني أضقت مرة، حتى انتهى أمري إلى أن عدم عيالي قوتهم، فقالت الزوجة: هب أني أنا وأنت نصبر، فكيف بالصبيتين؟ هات شيئا من كتبك نبيعه أو نرهنه. فضننت بذلك، وقلت: أقترض غدا، فلما

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١ / ٣٥٩).

كان الليل، دق الباب، فقلت: من ذا؟ قال: رجل من الجيران فقلت: ادخل؛فقال: فأطفئ السراج حتى أدخل، فكببت شيئا على السراج، فدخل وترك شيئاً وقام، فإذا هو منديل فيه أنواع من المآكل، وكاغد فيه خمس مئة درهم، فأنبهنا الصغار وأكلوا، ثم من الغد ، إذا جمال يقود جملين، عليهما حملان ورقا، وهو يسأل عن منزلي، فقال: هذان الجملان أنفذهما لك رجل من خراسان، واستحلفني أن لا أقول من هو). [١]

٨-قصة أوردها ابن أبي الدنيا في كتابه حسن الظن بالله ، من طريق الحسين بن واقد عن أبي غالب قال : كنت أختلف إلى الشام في تجارة ، وعُظْمُ ما كنت أختلف من أجل أبي أمامة ؛ فإذا فيها رجل مِنْ قَيْس مِنْ خيار المسلمين فكنت أنزل عليه، ومعنا ابن أخ له مخالف يأمره وينهاه ويضربه فلا يطيعه؛ فمرض الفتى فبعث إلى عمه فأبى أن يأتيه ،قال: فأتيته به حتى أدخلته عليه ؛ فأقبل عليه يسبه ويقول: أي عدو الله الخبيث ألم تفعل كذا؟ ألم تفعل كذا؟ قال: أفرغت أيْ عمّ، قال: نعم، قال: أرأيت لو أن الله عز و جل دفعني إلى والدتي ما كانت صانعة بي! قال: إذاً والله كانت تُدخلك الجنة،قال فواللهِ للهُ أرحمُ بي مِن والدتي، فقُبض الفتى، قال: فخرج عليه عبد الملك بن مروان فدخلت القبر مع عمه، قال: فخطوا له خطا ولم يلحدوا، قال: فقلنا باللبن فسويناه، قال: فسقطت منه لبنة فوثب عمه وتأخر،قلت: ما شأنك! قال: ملىء قبره نورا وفسح له فيه مد البصر.[٢]

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٦٨) وقال :إسنادها مرسل .

(٢) أخرج الأثر البيهقي في شعب الإيمان (٤٢٨/١٢) وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله ص٤٤ ، ومثل هذا يورد من باب الاستئناس وإلا فأحوال البرزخ من الغيب.

٩-**ومن قصص بعض المحتضرين** : ما ورد عن محمد بن مطرف قال :دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت ، فقلنا : يا أبا حازم كيف تجدك ؟ قال :أجدني بخير . قال : أجدني راجياً لله ، حسنَ الظن به . ثم قال:إنه والله ما يستوي من غدا وراح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له ، ومن غدا وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيره ، ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب .

ولما حضر حسان بن أبي سنان الموت ،قال له بعض إخوانه : كيف تجدك ؟ قال: أجدني بحال الموت قالوا : أفتجد له أبا عبد الله كربا شديدا ؟ فبكى ثم قال : إن ذاك. ثم قال : ينبغي للمؤمن أن يُسَلّيَه عن كُرَبِ الموت وأَلَمِه ما يرجو من السرور في لقاء الله.

وقال حاتم بن سليمان: دخلنا على عبد العزيز بن سليمان وهو يجود بنفسه، فقلت: كيف تجدك ؟ قال :أجدني أموت . فقال له بعض إخوانه : على أية حال رحمك الله ؟ فبكى ، ثم قال : ما نُعَوِّل إلا على حُسْنِ الظن بالله . قال : فما خرجنا من عنده حتى مات[1].

(١) انظر كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا ص (١٥٢ ، ٢٠٥ ، ٢١٠).



●○ المطلب الثاني : نماذج من قصص اليائسين والقانطين.

١-قصة وقعت لرجل في عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: شهدنا مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُنيناً ؛ فقال لرجل ممن يدعى بالإسلام:(هذا من أهل النار) فلما حضرنا القتال، قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله، الرجل الذي قلت له آنفا إنه من أهل النار؛ فإنه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات؛ فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(إلى النار) فكاد بعض المسلمين أن يرتاب فبينما هم على ذلك، إذ قيل: إنه لم يَمُتْ ولكن به جراحا شديدا فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقَتَلَ نفسَه! فأُخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك فقال:(الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله) ثم أمر بلالا فنادى في الناس أنه (لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر). [١]

قال النووي: (وهذا الرجل الذى كان لا يَدَعُ شاذّة ولا فاذّة، اسمه: قزمان، قاله الخطيب البغدادي، قال :وكان من المنافقين). [٢]

وعن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بنحو حديث أبي هريرة وفيه : قال فجُرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت! فوضع نَصْل سيفه بالأرض وذُبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه؛ فخرج الرجل إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال أشهد أنك رسول الله قال:(وما ذاك) قال الرجل الذي ذكرت آنفا أنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك، فقلت أنا لكم به،فخرجت في طلبه حتى جُرح جرحا شديدا فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل

(١) أخرجه مسلم (١٦٣).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي(٢ / ١٢٣).

عليه فقتل نفسه [١].

وعن جندب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أن رجلا ممن كان قبلكم خرجت به قرحة فلما آذته انتزع سهما من كنانته فنكأها فلم يرقأ الدم حتى مات قال ربكم: قد حرمت عليه الجنة) [٢]

فهذا رجل قد جزع وأصابه اليأس والقنوط ففعل هذا الفعل الذي أوجب له العقوبة والعذاب ، والعياذ بالله تعالى .

٢-عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :(أن رجلا فيمن كان قبلكم رَاشَهُ الله مالا وولدا فقال لولده: لتفعلن ما آمركم به أو لأولين ميراثي غيركم،إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني واذروني في الريح فإني لم أبتهر عند الله خيرا وإن الله يقدر علي أن يعذبني قال فأخذ منهم ميثاقا ففعلوا ذلك به وربي فقال:الله ما حملك على ما فعلت فقال:مخافتك قال فما تلافاه غيرها)[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه به أحدا قال ففعلوا ذلك به فقال للأرض أدي ما أخذت فإذا هو قائم فقال له ما حملك على ما صنعت فقال خشيتك يا رب أو قال مخافتك فغفر له بذلك) [٤] .

(١) أخرجه مسلم (١٦٤).
(٢) أخرجه مسلم (١٦٥).
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٨)، مسلم (٤٩٥٢) .
(٤) أخرجه البخاري (٣٤٨١) ،مسلم (٢٧٥٦).



فهذ الرجل قد حمله شدة الخوف على القنوط من رحمة الله تعالى ، ولكنه غفر له لما ذكر في الحديث .

٣-وعن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدث (أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذى يتألّى على أن لا أغفر لفلان فإنى قد غفرت لفلان وأحبطت عملك). أو كما قال [١]

وهذا يدل على شدة عقوبة المتألي على الله الذي يقنط الناس من رحمة الله .

٤-ومن القصص المناسبة في هذا المقام ما حصل مع الحجاج بن يوسف الثقفي، فإنه دخل عليه أبو المنذر يعلى بن مخلد المجاشعي، وقال: كيف ترى ما بك يا حجاج من غمرات الموت وسكراته؟ فقال: يا يعلى غماً شديداً، وجُهداً جهيداً، وأَلَمَاً مضيضاً، ونَزْعاً جريضاً، وسفراً طويلاً، وزاداً قليلاً، فويلي ويلي إن لم يرحمني الجبار، فقال له: يا حجاج إنما يرحم الله من عباده الرحماء الكرماء أولى الرحمة والرأفة والتحنن والتعطف على عباده وخلقه، أشهد أنك قرين فرعون وهامان لسوء سيرتك وترك ملتك وتنكبك عن قصد الحق وسَنَن المحجة وآثار الصالحين، قتلتْ صالحي الناس فأفنيتهم، وأبرت عترة التابعين فتبرتهم، وأطعت المخلوق في معصية الخالق، وهرقت الدماء، وضربت الأبشار وهتكت الأستار، وسست سياسة متكبر جبار، لا الدين أبقيتَ ولا الدنيا أدركتَ، أعززت بني مروان، وأذللت نفسك، وعمرت دورهم، وأخربت دارك فاليوم لا ينجونك ولا يغيثونك إذ لم يكن لك في هذا اليوم ولا لما بعده نظر لقد كنت لهذه الأمة اهتماما واغتماما وعناء وبلاء، فالحمد لله الذي أراحها بموتك وأعطاها مناها بخزيك؛ قال:فكأنما

---

(١) مسلم (٦٨٤٧).

قطع لسانه عنه، فلم يحر جوابا، وتنفّس الصعداء، وخنقته العبرة ثم رفع رأسه فنظر إليه وأنشأ يقول:

(رب إن العباد قد أيأسوني ★★★ ورجائي لك الغداة عظيم) [١]

٥- ذكر ابن القيم رحمه الله نماذج من كلمات بعض اليائسين والقانطين والمسيئين الظن بالله تعالى ، فقال :

(فلقد بلغنا وشاهدنا من كثير من هؤلاء من التظلم للرب تعالى واتهامه ما لا يصدر إلا من عدو فكان الجهم يخرج بأصحابه فيقفهم على الجذمى وأهل البلاء ويقول : انظروا أرحم الراحمين يفعل مثل هذا إنكارا لرحمته كما أنكر حكمته

فليس الله عند جهم وأتباعه حكيما ولا رحيما ، وقال آخر من كبار القوم : ما على الخلق أضر من الخالق !!

وكان بعضهم يتمثل :

إذا كان هذا فعله بمحبه ... فماذا تراه في أعاديه يصنع

وأنت تشاهد كثيرا من الناس إذا أصابه نوع من البلاء يقول : يا ربي ما كان ذنبي حتى فعلت بي هذا ، وقال لي غير واحد : إذا تبت إليه وأنبت وعملت صالحا ضيّقَ عليّ رزقي ونَكّدَ علي معيشتي وإذا رجعت إلى معصيته وأعطيت نفسي مرادها جاءني الرزق والعون ونحو هذا) [٢] نعوذ بالله من الخذلان ومن سوء الظن بالله تبارك وتعالى.

---

(١) الأمالي في لغة العرب (٣ / ١٧٥).

(٢) إغاثة اللهفان (٢ / ١٧٧).





الخاتمة

وفيها التوصيات وأهم النتائج

في ختام هذا البحث أشكر الله جل وعلا على تيسيره وتوفيقه ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وإن مما يُخلص إليه مما تقدم أن حسن الظن بالله تعالى من الأمور الضرورية للمسلمين أفرادا وجماعات ، وأن بث روح التفاؤل وحسن الظن بالله من أسباب النصر والتوفيق والفلاح ،وأن أهل العلم قد وضحوا الحكم الشرعي في وجوب حسن الظن بالله تعالى ، مع اختلاف الأحوال والأوقات كالصحة والمرض والطاعة والمعصية ، والنشاط والفتور ،وتم التطرق من خلال هذا البحث إلى الوسائل المعينة على حسن الظن بالله .

وفي مقابل ذلك تم الحديث عن حكم القنوط واليأس وخطرهما والأسباب المؤدية إليهما وما يترتب عليهما من آثار سيئة ، وذكر في هذا البحث بعض القصص والنماذج التي تؤخذ منها العبر والدروس المتعددة .

وإني أخرج بتوصيتين من خلال هذا البحث :

الأولى : الحاجة إلى وجود مركز علمي متخصص لوضع القواعد والضوابط الشرعية والنفسية للمواضيع الشرعية والعقدية ، ومن ضمن مسؤولياته: تقرير حسن الظن بالله والتحذير من اليأس والقنوط في نفوس المسلمين على مختلف مراتبهم وأعمالهم ، خاصة من تعرض لابتلاء في جسده أو بحبسه أو غير ذلك، والتعرف على الأمور التي يواجهها بعض أفراد المجتمع من الشعور باليأس والقنوط، لجمع وحصر أسباب حدوث هذه الأمور والحالات اليائسة والقانطة، ومن ثمّ

معالجتها بالعلاج الشرعي والنفسي معاً ، وبث روح التفاؤل والأمل وحسن الظن بالله وزرع الثقة في نفوس أفراد المجتمع .

الثانية : لعلاج هذه المشكلة لا بد من الاستفادة من جميع الوسائل الإعلامية، والمنابر الخطابية ،ومحاضن التربية والتعليم ، بل جميع المؤسسات الاجتماعية ، والمشاركة فيها من قبل لجان مختصة تتولى الإرشاد والتوجيه ومساعدة القادة في هذه المراكز وتوجيههم للسبيل الأمثل في معالجة اليائسين والقانطين ، وتجهيز مواد إعلامية متنوعة ، تجيب عن التساؤلات وتوضح السبيل الحق ، وتضيء الطريق أمام التائبين .

ونحن يا ربنا العاجزون المقصرون، المقرون لك بكل نعمة، فنستعين بعزتك، وقدرتك، ورحمتك الواسعة لكل مخلوق، ورحمتك التي أوصلت إلينا بها ما أوصلت من النعم الدينية والدنيوية، وصرفت بها عنا ما صرفت من النقم، أن تعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وأن تشرح صدورنا وتيسر أمورنا، وأن تجعل لنا من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ومن كل بلاء عافية ، ونسألك ربنا أن تعيذنا من شرور أنفسنا، ومن شر الشيطان وشركه ،ومن شر جميع شياطين الإنس والجن ، ونحسن الظن بك أن تجيب دعاءنا، وترحم ضعفنا ، ووتتولى أمرنا كله ، سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك نستغفرك ونتوب إليك ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، اتباعه بإحسان إلى يوم الدين .



قائمة المراجع

١. الأدب المفرد للبخاري ، خرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ط الثالثة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .

٢. الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم، سوريا ،ط السابعة ،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م .

٣. الأسماء والصفات للبيهقي، ت/ عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي ط الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٤. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم، ت/ محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت.

٥. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ،شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، تحقيق وتعليق د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، مكتبة الرشد ، الرياض ،ط.٣ ، ١٤١٣هـ١٩٩٣م .

٦. البداية والنهاية في التاريخ للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الشافعي ، ت٧٧٤هـ،تحقيق ومراجعة محمد النجار ، مطبعة الفجالة الجديدة .

٧. البدع والنهي عنها لابن وضاح، عني بطبعه وتصحيحه محمد أحمد دهمان، دار الأصفهاني بجدة.وطبعة أخرى ت/عمرو عبد المنعم سليم ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ط. الأولى ١٤١٦هـ

٨. تجريد التوحيد المفيد، تأليف: أحمد بن علي المقريزي، ت/ على حسن علي عبد الحميد، دار عمار، الأردن، ط الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٩. تخريج أحاديث وآثار الكشاف للزمخشري للزيلعي، اعتنى به سلطان الطبيشي، دار ابن خزيمة، الرياض، ط الأولى، ١٤١٤هـ.

١٠. التشاؤم والتطير في حياة الناس وأثره في العقيدة ، خالد بن عبد الرحمن الشايع، دار بلنسية ، ط الأولى ن١٤٢٢هـ.

١١. تفسير ابن أبي حاتم الرازي ، ت/أسعد الطيب ، مكتبة الباز مكة المكرمة ، ط. الأولى ١٤١٧هـ.

١٢. تفسير الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ٢١١هـ، دراسة وتحقيق د.محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ١٩٩٩م .

١٣. تفسير القاسمي المسمى: محاسن التأويل ، تأليف محمد جمال الدين القاسمي ، دار إحياء الكتب العربية .

١٤. تفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبي زَمَنِين ت ٣٩٩هـ، تحقيق حسين عكاشة، محمد مصطفى الكنز، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م ، الفاروق الحديثة للنشر .

١٥. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ت/ عدد من الباحثين، طبعة الشعب.

١٦. تفسير القرآن العظيم للإمامين الجليلين ، دار الدعوة ، اسطنبول ، تركيا.



١٧. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني، اعتنى بتصحيحه عبد الله هاشم اليماني، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي،اعتنى به عبد الرحمن اللويحق، مكتبة الرشد الرياض،الطبعة الثالثة، عام ١٤٢٢هـ.

١٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبى جعفر بن جرير الطبري، مطبعة البابي الحلبي، ط الثالثة.

٢٠. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب، ت/ شعيب الأرناؤط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢١. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٢. جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، دار صادر، بيروت.

٢٣. الجواب الكافي

٢٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني ، دار الفكر ، بيروت لبنان، بدون تاريخ .

٢٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، ط.الأولى ١٤١١هـ.

٢٦. ديوان زهير بن أبي سلمى ، ضمن رسائل مشكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية ، القسم الرابع ،شرح محمد بن إبراهيم الحضرمي ،ت/علي بن خلف الهروط ، جامعة مؤتة ،ط. الأولى .

٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق محمد أحمد الأحمد،عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي ،الطبعة الأولى ١٤٢١هـ،٢٠٠٠م .

٢٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، جـ١-٢، المكتب الإسلامي، ط الرابعة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، جـ٣ مكتبة المعارف، ط الثانية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، جـ٤ المكتبة الإسلامية مع مكتبة المعارف، ط الثالثة، ١٤٠٦هـ، جـ٥ مكتبة المعارف، ط الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٢٩. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، جـ١، المكتب الإسلامي، ط الخامسة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، جـ٢، المكتبة الإسلامية، عمان، ومكتبة المعارف بالرياض، ط الثالثة، ١٤٠٦هـ، جـ٣، مكتبة المعارف، ط الثانية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، جـ٤، مكتبة المعارف، ط الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.



٣٠. سنن ابن ماجه، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة مصورة، المكتبة العلمية، بيروت.

٣١. سنن أبي داود، ت/ عزت الدعاس، دار الحديث، بيروت، ط الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

٣٢. سنن الترمذي «الجامع الصحيح»، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر الجزء الأول والثاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الجزء الثالث، وإبراهيم عطوة الجزء الرابع والخامس، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م. وطبعة أخرى من الكتاب ت/ بشار عواد معروف ، دار الجيل بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ط.الثانية ١٩٩٨م .

٣٣. سنن الدارمي، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٤. السنن الكبرى للنسائي ، ت/عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط. الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٣٥. السنن الكبرى، للبيهقي، طبعة مصورة، دار المعرفة، بيروت.

٣٦. سنن النسائي، ومعه شرح السيوطي وحاشية السندي، اعتنى به ورقمه عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٣٧. سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت/ مجموعة من الباحثين، أشرف على تحقيقه شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط السادسة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٨. السيرة النبوية لابن هشام ، المكتبة العلمية ، بيروت لبنان .

٣٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الفكر ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٤٠. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ت/ التركي والأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٤١. شرح صحيح مسلم للنووي، طبعة مصورة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٢. شعب الإيمان للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ت / مجموعة من الباحثين ،الدار السلفية ، بومباي ، الهند ، ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

٤٣. الشفاء للقاضي عياض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

٤٤. صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان)، ترتيب ابن بلبان، ت/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٤٥. صحيح ابن خزيمة، ت/ د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٤٦. صحيح البخاري ، دار السلام ، الرياض ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٤٧. صحيح مسلم ، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٤٨. الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر ببيروت.

٤٩. عيون الأخبار لابن قتيبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٥٠. الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ت/ محمد عطا، مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، (ست مجلدات).

٥١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، طبعة مصورة من الطبعة السلفية، دار الفكر.

٥٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، ت/ مجموعة من الباحثين ، ط الأولى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

٥٣. فتح القدير، تأليف محمد بن علي الشوكاني ت١٢٥٠هـ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ١٩٦٤م .

٥٤. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، ضبطه وحققه حسم الدين المقدسي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٥٥. فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين ، مصطفى بن العدوي ، دار بلنسية، ط الثانية ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

٥٦. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٥٧. القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، د. عبد الرزاق البدر.

٥٨. القول المفيد على كتاب التوحيد شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الثانية محرم ١٤٢٤هـ

٥٩. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة

٦٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب/ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، طبعة مصورة، مكتبة ابن تيمية.

٦١. مجموعة التوحيد، المطبعة السلفية، ط ١٣٧٥هـ.

٦٢. مجموعة فتاوى ابن تيمية خمس مجلدات، طبعة مصورة، دار الفكر، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٦٣. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للذهبي، طبعة مصورة، دار المعرفة، بيروت.

٦٤. المسند، للإمام أحمد بن حنبل ، ومعه فهرس الألباني، دار الفكر للطباعة والنشر. وطبعة أخرى بتحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى ١٤١٣هـ.

٦٥. المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ، الدار السلفية ط. الأولى ١٣٩٩هـ، وطبعة أخرى دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط. الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م .

٦٦. المصنف، لعبد الرازق، ت/ حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع المكتب الإسلامي، ط الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦٧. المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، ت/حمدي عبد المجيد السلفي ، ط الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م .

٦٨. مفتاح دار السعادة لابن القيم ، طبعة مصورة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٦٩. منهاج السنة النبوية، لابن القيم، ت/ محمد رشاد سالم، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٧٠. منهج الإسلام في تزكية النفوس ، أنس أحمد كرزون ، دار نور المكتبات ودار ابن حزم ، ط الثانية ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

٧١. موسوعة الآداب الإسلامية ، تأليف عبد العزيز بن فتحي السيد ندا ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط الثالثة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .

٧٢. الموطأ، للإمام مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

محتويات الكتاب